التنبيه

القبر الخفى

تطلب من مطبعة التقدم التجاريه ومكتبتها
بدرب المنبه عطفة عبد القادر رقم ٥ شارع طلعت حرب
ومن فروعها بشارع الصنادقيه بجوار الازهر الشريف بمصر

obeikandl.com

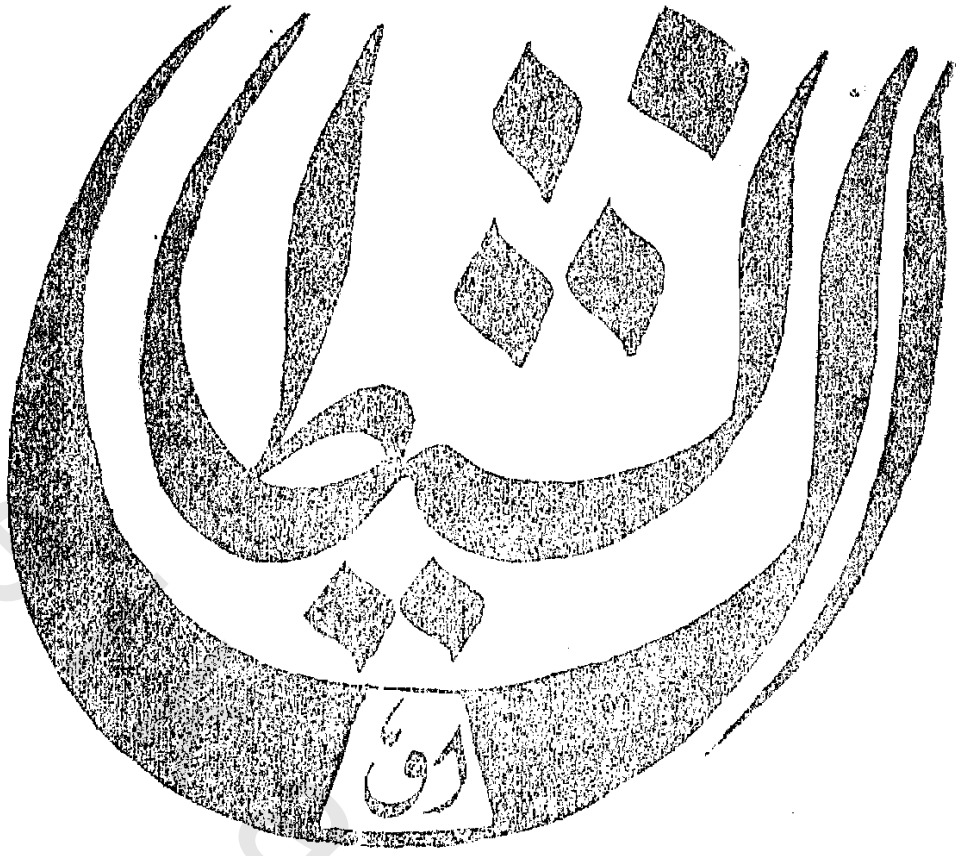

الشبح الخفي

(روايه جنائيه غراميه انتقاميه أدبيه بوليسيه)

تأليف الكاتب الروائى المعروف

الأستاذ

مصطفى محمد السباعى

تطلب من مطبعة التقدم التجاريه ومكتبتها
بدرب العنبة عطفة عبد القادر نمره ٥ شارع محمد على بمصر
ومن فرعها بشارع الصنادقية بجوار الازهر الشريف بمصر

مطبعة التقدم التجاريه

المقدمة

في منتهى شارع سان كروا من الشمال منزل فخم شاهق البنيان متين الجدران واسع الأركان يملكه مركيز امريكي الأصل يدعى لويس مورتيمر جاء في خلال الأيام الأخيرة من شهر اكتوبر سنة ١٩١٦ لتمضية أوقات فراغه بفرنسا والاشراف على املاكه وضياعه في باريس، فتعرف به رجل كهل طاعن في السن يبلغ من العمر نيفا وستين عاما ذو جبهة عريضة وعينين براقتين لامعتين ولحية طويلة يشرف عليها شارب كثيف ، نحيف الجسم طويل القامة ذو فكر ثاقب يقدر العواقب حق قدرها ، ذلك الرجل يدعى اوسترلنز وهو رئيس لعصابة سرية لها شعار مخصوص من دأبها العمل على سلب الأغنياء ونهب الأثرياء واغتيال ذوى الثروة والجاه وهتك عرض كل فتاة تقع في مخالبهم — ولقصد معين تداخل ذلك الشقي مع ذلك الغني فوضع له في طريقه فتاة رشيقة القد معتدله القوام ذهبية الشعر مليحة الجسم خفيفة الروح فهام بها المركيز وشغف بها حبا وصبا قلبه اليها فراح يصرف عليها ببذخ وسخاء . كل ذلك وهو لا يدرى ماوراء الأكمة ولا يعرف ماتخبئه له الاقدار أو تأتيه به الأيام لا يفطن الى مايدبره له ذلك الصديق الموهوم .

وكان اوسترلنز في خلال ذلك يوصي الفتاة المسكينة بأن تظهر له العطف والحنان وتطلب منه مايروق لها ويحلو حتى تمنت علية في صبيحة اليوم الخامس من نوفمبر أن يهديها قصره وبعض ضياعه فما أبى . . ! !

وحددت الساعة السابعة من مساء يوم ٣١ نوفمبر سنة ١٩١٦ لاقامة الاحتفال باهداء القصر وكان من بين المدعوين كثير من اعيان الباريسيين وعلمائهم نخص بالذكر منهم المحامى فارنز وشقيقته كاترين وخطيبها

موريس . . والزعيم الاكبر والداهية الدهاء . . اوسترلتز . دقت الساعة السادسة والنصف مساء ولم يحضر المركيز فتساءل الجميع . . ماذا الم به ياترى . . ؟ وكان الكل فى قلق وارتباك شديد وتسرب اليأس الى قلوبهم وخيمت الكآبة عليهم كلما مرت دقيقه بعد أخري ولو نظر أحد الى وجه استر لتز لوجده هاشا باشا كأنه على علم بسبب تأخيره وعدم حضوره ولكنه لم يلبث الا قليلا حتى انقلب سروره الى غيظ ويأس على أثر وصول المركيز إلى قصره بصحبه شاب يدعى بسكوتين وعقيلته هنريت وهما من ابناء الطريق الذى يبيعون سلعهم فى الاسواق ويفترشون الغبراء انى ساروا ويلتحفون السماء اينما مكثوا

الفصل الاول

« لماذا تأخر ؟ »

نعود بالقارئ فنقول أن سبب تأخير المركيز أنه قام من نيمته بسيارته في الساعة السادسة مساء ولسوء حظه ان كانت السماء ماطرة بالسحب الكثيف القاتمة وقد فتحت ميازيبها بماء منهمر وخيم الظلام فرجين الأركان فاعترضه في الطريق شاب ضخم الجثة . لو وزن لبلغ مائتي كيلو تقريبا . فشاهد سائق السيارة على ضوء المصباح فخشي ان يصرعه في رقدته أو على الأقل يتسبب في عطل السيارة فوقف عن السير ونزل المركيز بقصد اسعافه ظنا منه أن به ضرر . فما فتئ يقلبه ذات اليمين وذات الشمال حتى هجم عليه ثلاثة من الرجال أو سعوه ضربا وصحبوه على وجهه فسمع صياحه ابن السبيل — المدعو باسكوتين وزوجته وكانا على مقربة منه راقدين بالغابة فأثبت الشفقة والرحمة الإسعاف المستغيث ودب الحنين في قلبي الفقيرين فتغلبت الشهامة المعنوية على تنسيهما وقاما ويبد كل منهما عود من اغصان الاشجار وتبعا الصياح وفاجأ العصابة وأخذوهم على غرة فتواروا بين الاشجار ونجت الفريسة من ايديهم وآبوا لمكانهم بالخذلان رائدهم الخيبة وساعدهم ضياع الامل . ولما افاق المركيز من غيبته وعاد لرشده وصوابه رأى حوله باسكوتين وزوجته فشكر لهما حسن صنيعهما ورجاهما في صحبته والعودة الى باريس معه . فرضيا . وأخذ كل من الزوجين في لم شعث بضاعته من « فناجين ومقشات وجوارب ومناديل وغير ذلك من بضاعة السريحه . . . » وركب الكل فواصلوا الاجتماع على نحو ماقدمنا .

دخل باسكوتين فشاهد مالم يحلم به في منامه ورأى مالم يكن في حسبانه

فبهر عقله وزهل فكره . حتى نسى ماهو أمامه فصار يهرف بما لا يعرف ويتكلم بكلام غير معقول وتمتم اقوالا لا تفهم . وهكذا الفقير اذا صادف زخرف الحياة ألم به ما الم بصاحبنا هذا فتبا للمال وسحقا للأغنياء من الرجال الذين يكتنزون الأموال لذاتهم ويجمعون الذهب لشهواتهم بينما الفقير فى فقره يتخبط وفى ذله يتعثر فلا تأخذهم به رحمة ولا شفقة . . .

عزفت الموسيقي فترددت نغماتها فى انحاء القصر فكانت عزاء للقلب الكليم وترنم المنشدون فكان لصوتهم رنة فرح وسرور وما انتصف الليل حتى كان الكل فى غاية السرور . وفى النهاية طلب المركيز من بسكوتين ان يتمنى احب شيء يحلم به ويريده فكان جوابه — اتمنى منذ أمد بعيد أن اكون صاحب معمل للألبان فيه من الجبن مالذ لآكله والزبد ماشهى لطالبه فلو نلت ذلك أعد نفسى اسعد خلق الله .

فلم يخيب المركيز رجاه ومنحه ماتمناه ولو كنت مررت بعد ثلاثة أيام من ذلك التاريخ فى شارع مونت بلاس لشاهدت هناك رجلا وزوجته منهمكان فى اعداد الالبان وتحليلها واستخراج منتجاتها وهكذا اسعدت بسكوتين الايام وصار يتردد على القصر بين فترة وأخرى

واذا الفقير منحته * شيئا فلا ينساك

الفصل الثانى

« من السجن »

فى يوم ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٠ اى بعد مرور اربعة اعوام من حوادثنا السابقة صدر الأمر بالافراج عن ضحية من ضحايا الشيطان اوستر لتز الا وهو السجين جاك روجيه بعد أن قضى مدة عشرة اعوام فى سجنه

يتضور فيها بين البؤس والشقاء ويتقلب اثناءها بين الوحدة وجدران السجن المظلم وقد تأدبت نفسه وتهذبت أخلاقه .

تطلع ذلك الرجل الى نفسه وتذكر ماضية وحاضرة ومر عليه طيف ابنته المسكينة التي تركها مع زوجها منذ اعوام لا يعلم كلاهما ماحل بالآخر فعزم على عمل مايرضى مولاه ويسعد تلك الفتاة .

زاد تفكيره فكان أن يكون بعد عزة نفسه وشرف أصله وفرعه ان يكون ذلك المجرم الاثيم والشرير اللئيم نزيل السجون وبؤر الفساد وعز عليه ان يبقى العوبة بين يدي الشيطان أوستر لتز يقلبها أني شاء فصمم على اعادة شرفه المسلوب واسترجاع اسمه المدفون والانتقام ممن استهوى فؤاده وافقده رشادة ووصمه بالعار ووشحه بالخزي والشنار كيف لا وهو ابن (مونبلية) شاعر فرنسا القدير وخطيبها الشهير ، ومالقب بجاك روجية الا ليؤدي خدمات أوستر لتز تحت ستار الخفاء بدون ان يلوث اسم عيلته ولا يشوه لقب اسرته مر كل ذلك على جاك روجيه او بالحري جون مونبليه فتوالت أحزانه وتحركت آلامه فاقسم ان ينتقم من ذلك الجبار عدو البشر أوستر لتز فعرج في طريقه على « تلفون عمومي للمخابرات » وقرع جرسه فاجاب

ــ الو . . الو . . من انت . ؟

ــ انا جاك روجيه أونمرة « ٢٠ » من انت ؟

ــ انا أوستر لتز . كيف حالك يانمرة « ٢٠ » هل افرج عنك . ؟

ــ نعم افرج عني اليوم وماخاطبتك الا لتستعد لدفع حصتي في الغنيمة التي سلبناها سنة ١٩١٠ وبقيت تتمتع بها الى الآن وانا بين جدران السجون عشرة اعوام كاملة .

ــ كن هادئ البال ياعزيزي روجية وتاكد ان نصيبك لايزال تحت تصرفك ولكن قبل ان اسلمه اليك يجب ان تقابلني بعد ثلاثة

ايام للاتفاق على اداء مهمة خطيرة ، لاأجد بين افراد عصابتنا من هو اكفأ منك على ادائها والآن يمكنك ان تذهب الى مقر جمعيتنا فهناك غرفتك رقم « ٢٠ » لاتزال كما تركتها منذ عشرة اعوام فتجد في خزانتك مبلغ الفي فرنك هو عشر ارباح نصيبك في العشرة اعوام . وهو مبلغ يكفيك حتى نتقابل .

ـ سأفعل ان شاء الله . نهارك سعيد . ذهب روجيه الى مقر الجمعية يقدم رجلا ويؤخر الأخرى حتي وصل اليها وهناك تمتم كلمة العبور امام حارس المكان وهى « ذراع » ثم كشف عن ساعده الأيمن فاراه وشم شعار الجمعية وهى (آرم) فصرح له بالدخول وقاده الى الغرفة رقم « ٢٠ » ثم تركه .

قام روجيه يتامل فى محتويات غرفته التى تركها منذ اعوام طويلة فوجدها كعهده بها مملوءة بملابس التنكر وآلات الصعود والهبوط وغير ذلك مما لايستغنى عنه اللصوص فنبذها ظهريا ثم مال على مكتبته فوجدها مكتظه بالاوراق فاشعل مصباحه وبدأ بتلاوتها فما عتم ان تشنجت اعصابه وتصلبت اعضاؤه على أثر وجود مكاتبات بخط ابنته الشريفة ردا على خطابات ارسلها لها استر لتز باسم والدها ليوهمها بانه مقيم بباريس متمتع بزخرف الحياة ـ والحقيقة انه فى السجن بين الاصفاد والاغلال والقيود .

فدهش فكره وذهل عقله لتلك الحيل الشيطانية . وما فتئ حتى وقع مغشيا عليه . وذلك لانه وجد من بين خطابات ابنته خطابا ينبئ بوفاة زوجها المحبوب فى ساحة الحرب الاوروبيه العامه ولما افاق قام من فوره قاصدا مدينة نيس حيث تقيم تلك الارملة المسكينة التى لاسلوان لها الا ابنة رزقت بها من زوجها المأسوف على شبابه ولاعزاء لها الا التفكير فى تلك الحياة المرة .

وصل ذلك الرجل الى ابنته بعد ان اصلح ثيابه فقابلته بعد طول الغيبة وبعد المزار وياطها من مقابلة احتدفيها النزال بالبكاء والعويل والقبلات المتتالية ، حتى تساءلت الصغيرة من هذا الشيخ الغاني الذى يكاد ياكل والدتها بقبلاته ويقتلها بتاوهاته ؟

فصارت ترفصه تارة وتسحبه ليبعد عن امها اخرى ولكن لاحياة لمن تنادى وهكذا ـ

يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن الا تلاقيا

الفصل الثالث

(الوقوع فى الشرك)

في صبيحة اليوم الثانى من اجتماع الوالد مع ابنته وحفيدته خرج مع الصغيرة للنزهة فى زورق بنهر السين فغابا ساعة من الزمن وعادا

وكانت مارى مونبليه ـ اسم ابنته ـ تنتظرهما على الشاطىء . فانزل الفتاة التى صارت تجري الى المنزل أمامهما . وقبض روجيه على ذراع ابنته بالحنو الأبوى ، وبينما هما فى الطريق حانت التفاتة من مارى نحو ذراع والدها المكشوف فلمحت وصمة العار وعلامة الموت الأدبى الاوهى الوشم المعهود (آرم) فبهت لونها وتساءلت

ـ ماهذا ياأبتاه . ؟

فارتعدت فرائصه وأجاب بصوت منقطع

ـ انها علامة لجمعية سرية غرضها نصرة الضعيف ومساعدته والاخذ بيده .

قنعت تلك الفتاة بذلك الجواب لاعتقادها بأن والدها انما هو مثال الطهر والعفاف والصدق ووراء الأكمة ماوراءها . . ! !

وفي اليوم الثالث من إقامته جاء رسول من قبل أوسترلتز الى روجيه، يطلب منه مقابلته على الفور فى الميعاد بمنزله فى باريس .

مضى . . وكله عزيمة ثابتة على مناضلة الشيطان أوسترلتز ومصادرة أوامره وفضح سره حتى وصل إلى داره وهو مشبع بفكرة الانتقام والعصيان . طرق الباب بيد مرتجفة وفرائص مرتعدة فأذن له بالدخول ففعل ، فقابله أوسترلتز بالحنان الأخوى والابتسام المعمى فزاده ذلك حباً فى تنفيذ عزيمته ثم جلسا فبدأ الحوار قال أوسترلتز :

ـ كيف حالك ياروجيه . ؟

ـ على مايرام إذا أبرأت ذمتك بدفع حصتى التى نلت على سلبها شر الجزاء.

إن عشرة أعوام فى السجن لاتعد مدة مذكورة إزاء ماستناله من المال ياعزيزى جاك

ـ إن يوما واحداً بالسجن لو ذقت طعمه لفضلت الموت على البقاء.

ـ على كل حال ستنسيك لذة المال مرارة الاعتقال والآن أرغب منك شيئا واحـدا وهو أن تركب يختى « فيرسوف » أنت والمركيز لويس مورتيمر حتى إذا توسطت البحر أغرقته فى اليم وبذلك تكون قد قمت بالواجب نحوك ونحوى . . فما رأيك . ؟

فاجاب الرجل بهدوء .

ـ لقـد سئمت نفسى ياأوسترلتز أعمال اللصوصية . وخير لى أن أقضى بقية أيامي بين أحضان ابنتى وحفيدتها فى الهـدوء والسكينة . ودعنا من قتل هذا وسلب ذاك فما أغنى ماله وما كسب

فقال الشيطان بصوت غليظ : ـ لعلك نسيت يمين الطاعة ياروجيه . ؟ وهل السجن يغيرك الى هذا الحد . ؟

ـ لله كم أنتم تتهاونون بالامور وأنتم لاتشعرون وتستسهلون قتل الانفس البريئة وسلب الاموال ولا تخشون يوما تحاسبون فيـه على

ماقدمت أيديكم أمام أعدل الحاكمين

ـ ياروجيه لاأروم منك الا كلمة واحدة تنبث بها من بين شتيفك اما بالرفض أو القبول ودعك من تلك الشقشقة الكاذبة التي لامحل لها الآن

حار روجيه وعلم أنه أمام خصم عنيد وشيطان مريد ذو بأس شديد ومهجة قدت من حديد ومرت على مخيلته صورة المسكينة التي تركها منذ ساعات تنتظر عودته فتغلب عليه شرف نفسه وعريق أصله وأراد استرجاع مجده اتباعا لمن قال

كل امرىء راجع يوما لشيمته * وان تخلق أخلاقا الى حين

فتشددت عزيمته واجترأ على الجواب « بالرفض » دهش اوسترلتز لسماع تلك الكلمة وصاح صيحة المتألم

ـ يالك من نذل جبان خيبت فيك آمالي وضيعت ثقتي بك ، ويالك من يوم تقف فيه واوسترلتز حانقا عليك ، ناظرا اليك بعين ملؤها الغضب فالى الملتقى الى الملتقى ياروجيه

خرج روجيه ولا يعلم ماخبأه له القدر بين زواياه ولا ماأخفاه له الدهر بين طواياه . يتعثر في ثيابه قاصداً مقر ابنته . ومسكن وحيدته وهو كالغريق في لجة من الافكار . يعلو وينخفض ويتمسك بأذيال النجاة ويتعشق للحياة . فصادف احدى مقاعد منتزهات باريس ، فجلس ليروح عن نفسه فأخذ معاقد أجفانه الكرى وخيمت عليه سنة من النوم . فى ذمة الله ياروجيه .

* * *

ندعه الآن في أحلامه ونعود الى أوسترلتز الذي حقد عليه فنجده قد بدأ ينصب حباله للايقاع به إذ أمر اثنين من توابعه بتتبع خطواته والعمل على اعتقاله

فذهبا تواً في أثره حتى رأياه مترامياً على المقعد فانتظرا حتى وثقا

من نومه نوما عميقا وهجم أحدهما عليه وكم فاه وأسرع الآخر الى يده اليمنى وحقنه بمحلول الكوكايين فتخدرت أعصابه وفقد صوابه وباسرع ما يمكن استأجر الاثنان سيارة كانت سائرة بالطريق فوضعاه بها حتى أوصلوه الى منزل كانت تقيم فيه عشيقة لويس مرتيمر ثم نقلوه وهو لايدرى ولا يشعر . لافرق بينه وبين من مضى علي موته ثلاث أو أربع أيام . . الى غرفة تلك العشيقة . . وناهيك بما كان قد فعل بها . . !

الفصل الرابع

(نهاية روجيه المحزنه)

تحف مدينة نيس أراض جميله ومرتفعات صخريه وكثبان رمليه تتخللها فجوات وعيون مائيه يلذ لعشاق الطبيعة التردد عليها ولمحبي العزلة الأقامة بها — فى وسط هذه الجهة التى يندر وجود بنى الأنسان بها شيد اوسترلتز قصرا شيقا أسماه « القبر الخفى » وهو لايقل عن سائر الابنيه حسنا ورواءا الا أنه يمتاز بسرداب طويل متعرج ينتهى بثلاثة أبواب . الأول منها من اليمين يؤدى الى غرفة قد جمعت من الأفاعى والثعابين والحشرات الفتاكه الشىء الكثير والاوسط سجن مظلم لاتدخله شمس ولا هواء من الصعب المكث فيه . له سقف حجرى ونافذة واحده أن قلنا أنها لاتسع مرور طفل فى الستة شهور لم نبعد عن الصدق أما الغرفة الأخيرة فقد حفر فى منتصفها بئر عميق ملىء لنهايته مواد محرقة ومقذوفات فتاكه والغام وكبريت .

كل هذا القصر ملك للشيطان أوسترلتز وهو حصنه المنيع الذى يعتمد عليه فى الفتك باعدائه واغتيال فريسته .

وفي سجن هذا القصر اعتقل استر لتز المركيز لويس مرتيمر — الذي كان — منذ برهة يرغم روجيه على أغراقه فى اليم . حتى اذا أظهر وصيته التى أرغمه على كتابتها لايقال بأن فى الأمر شيء وبأن المركيز مات غرقا قضاءا وقدرا .

* * *

فى تلك اللحظة التى كان فيها المركيز بين جدران السجن كانت عشيقته التى احبته حبا خالصا تفكر فيه وتدبر الطريق لخلاصه من شرك أوستر لتز الشيطان الطاغيه الذي أضاع شرفها وشبابها بجبروته وطمعه . وبينما هي تائهة فى لجة من الافكار هجم عليها فى غرفتها رجل شرس الطباع لم تتطرأ الشفقة إلى قلبه يوما من الأيام وتبرأت منه الرحمه وتبكيت الضمير . . . فضغط على عنقها وسدفاها ومزق ثيابها وظل يضغط عليها بقوة حتى لفظت نفسها الاخير وصعدت روحها الى السماء تشكو جور الظالمين — وفارقت دار الفناء غير آسفه عليها — وتخلصت من الدنيا غير راضيه عنها .

فى ذمة الله أيها الشباب الغض . . . .

* * *

أفاق روجيه من غشيته ونظر حوله فحار فى أمره وصار يسائل نفسه . (أين أنا ياترى وماذا ألم بي هل جننت . ؟ كنت بالطريق منذ وقت قريب)

ثم شعر بألم في يده فنظر اليها فوجد عليها قفازا من الجلد كان الاشقياء البسوه له حتى لايرى أثر (الحقنة) ثم قام يتمشى فى الحجره فلامست احدى قدميه جسما لينا ملقى على الارض فمال ليراه . . ويالها من رؤية تقشعر لهولها الفرائص ويجمد الدم لمنظرها فى العروق ويخرس اللسان لديها عن النطق . . . ماذا رأي . . ؟ ؟

رأى جثة امرأة لاحراك بها هى عشيقة المركيز .

فعاد الى صوابه وأدرك أن فى الأمر سرا ومكيدة مدبرة وحيلة يقصد بها هلاكه فهرول للخروج من الغرفه وما كاد يتلمس بابها حتى هاجمه رجال البوليس الذين حضروا بناء على بلاغ اوستر لتز وأعوانه فاوثقوه بالأغلال وقادوه الى السجن وهو برىء . . ! ولكنهم لايعلمون . .

حققت النيابه وأحيلت الأوراق من قاضى الأحاله الى محكمة الجنايات وحدد يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٠ لنظر القضيه فوكل المتهم عنه المحامى فارنر وهو شاب قدير يعد نادرة زمانه ومن شواذ أيامه .

الفصل الخامس

صدور الحكم ـ الاستاذ فارنر الجرىء

فى الساعة التاسعة من صبيحة يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٠ اكتظت قاعة محكمة الجنايات بالمتفرجين لسماع دفاع الاستاذ فارنر عن قاتل الغانية المشهورة ، وجىء بروجية فى قفص الاتهام وحضر القضاة وساد السكون ثم نودى لسماع اقوال الشهود ثم اقوال الاتهام وقف المدعى العمومى يشحذ شفرة البلطة ويفتل شاربيه ويعد حبل المشنقة . استهل الدفاع كلامه ببحث طويل فى القوانين حتى وصل لجوهر الموضوع فاطنب واسهب وأوضح وأعذب . حتى هلل الجميع لحسن بيانه وصفق الحاضرون لبراعه لسانه وتاكدوا بان البراءة آتيه لامحاله .

رفعت الجلسة للمداولة وعادت ثم لفظت « بالاعدام » فاظلمت الدنيا فى وجوه المتفرجين اما السجين فحدث عنه ولا حرج فقد توالت عليه ذكرى ابنته ولم يؤلمه الحكم بل ازعجه ترك وحيدته . ولو كان

صرح بحقيقة ماوقع بينه وبين استر لتز لما حكم عليه بالاعدام .

لم يرض ان يصرح أنه ابن مونبليه فيدنس اسم عائلته لنجاته .

لم يرض ان يلوث ابنته بوصمة ابيها ففضل الموت على البقاء .

لم يوضح أنه شريك او ستر لتز كي ينجو اذ لم يعر ذلك اهتماما

وهكذا رضى بأن يضحى نفسه على ان يدنس البقية الباقية من شرف أسرته .

وبينما هو فى سجنه ينتظر الموت ساعة بعد أخرى دخل عليه حارس السجن واعطاه كتاب يسمى « ابن الجبال » اعتاد ولاة الامور فى فرنسا على توزيعه للمحكوم عليهم بالاعدام ليتسلوا بمحتوياته قبل مفارقة الحياة ومغادرة الدنيا ـ وبينما هو يتأمل فيه وقد اوصد عليه الباب لاحت منه التفاته الى لفظة « الانتقام » فعز عليه أن يموت ويهدر دمه ظلما وعدوانا بدون أن ينتقم ممن اوقعوه فى هذا الشرك فاخذ قلما كان على المنضدة الخشبية وكتب بين سطور الكتاب كلمات متقطعة لو جمعت لكانت وصية كاملة وقبل أن ينتهى منها فتح الباب ودخل مأمور السجن ومعه اعوانه وقادوا المتهم الى منصة الاعدام وتلى عليه الحكم وطلبوا منه ان يوصى بما يريد .

فقال : ـ أنا لاأوصى بشىء مطلقا انما ألتمس من عدلكم أن تبيحوا لى بأن أهدي الكتاب ـ وأشار الى الكتاب الذى وضع فيه رموزه الى محامي الاستاذ فارنر

وكان المحامى موجوداً فى ذلك الوقت فأخذ المأمور يقلب الكتاب يمينا وشمالا ثم قال

ـ ان رجاء مثلك لايخيب الآن وسنعطى الكتاب للاستاذ . . تفضل يامتر فارنر .

ثم سيق الى آلة الاعدام وأجري الحكم فى المسكين ـ وياله من

من منظر يشيب له الطفل شيبا ويتشتت له الفكر أيدى سبا فكم آلم الحضور أن يصبح جثة هامدة بعد أن كان رجلا سويا له لسان يتكلم وله عيين تنظر فانا لله وانا اليه راجعون . . !

خرج المحامى فارنز محزون القلب . كليم الفؤاد كأن بينه وبين السجين المعدوم قرابة أو صلة ودية . . وما هى الاشفقة تختلج الشعور الحساس والضمير الحى . ذهب الى منزله لتناول طعام العشاء وماله شهية للغذاء ولاحظت شقيقته كاترين تقطب جبينه فسألته قائلة

ـ ماالخبر . ؟

فاجابها قائلا

ـ الدنيا عبر فى عبر

ثم انفرد على مكتبه يقلب الكتاب المهدى اليه عله يعثر على أثر أو الداعى لاهدائه اليه ـ إذ لابد أن لذلك سببا . حتى توفق بعد دقة البحث والتنقيب على كلمات متقطعة نظمها

واليك ماجاء بها : ـ

« الى المحامى فارنز .

اعترف بغلطة ارتكبتها عفواً ، وذلة وقعت فيها من غير قصد ذلك اننى انضممت منذ خمسة عشر سنة الى عصابة لصوص . لها شعار مخصوص وزعيم لك به معرفة هو استرلتز ـ وبقيت أعمل مع هذه الجمعية حتى أوقعني القدر المحتوم فى حبالتها وحكم علي بالاعدام لأجلها ويشهد الله اننى برىء مما رميت به ، وما نلت ذلك الا جزاء لعصياني رئيسها الذى كلفني بقتل المركيز لويس مرتيمر فابيت ـ ولما كنت أثق فيك الثقة العمياء وأعلم أنك ذو حزم وعزم أكلفك بأن تذهب فى الهزيع الأخير من مساء ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٠ إلى حى المعدنين بباريس فتجد هناك حانة لها باب سرى عليه حارس قوى البنية متين العضلات

فاتل عليه كلمة المرور « ذراع » فتدخل تجد أعضاء العصابة مجتمعين لاكتشاف ماربحوه من وراء قتل المركيز مرتيمر الذى أوهموا بغرقه فى اليخت والحقيقة أنه . . . . . »

والى هنا انقطعت رموز المجرم البرىء فنظر فارنز الى ساعته فالفاها الحادية عشر أى قبل عقد الاجتماع بساعة فصاح قائلا

ـ كاترين . . . كاترين . . . موريس . . . فهرولت اليه شقيقته وخطيبها على صياحه فقال بعد أن وضع مذكرته التى نقلها من الكتاب فى موضع أحكم غلقه وقال لهما

ـ خذا هذا المفتاح وأن تأخرت عن الحضور حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل . فافتحا المكتب واقرآ مذكراتى الموجودة فيه ، تعلمان موضعى . وأما قبل هذه الساعة فلا آذن لكما بفتحه .

ثم امسك بسترته وقبعته وأسرع الخطى وكله عزيمة ثابتة على اكتشاف سر هذه الجرائم الماضية .

وصل فارنز الى الحانة المعهودة فازعجته هيبة المكان وانكمش لوحشته ثم تأمل ساعة اعدام السجين فتجلد وهجم نحو الباب حتى انتهى للحارس فنبث بكلمة المرور ففتح له الباب ومر ـ دخل فوجد نفسه فى ساحة مظلمة لاصوت فيها ولا حراك فاتخذ شعوره رائدا لنفسه . ومعيناً للاهتداء حتى لاينفضح سرد واشعل مصباحه الكهربائى ليهتد بنوره الى مسالك تلك الهوة السحيقة حتى وصل الى باب من الفولاذ حسبه فى المبدأ لخزنة حديدية ، وتأمل فيه علّه يعثر على أثر فوجد به ثلاث أزرار متقاربة الابعاد كتب على كل منها أحد الاحرف الانكليزية آرم ولم يجد بها فتحات لوضع مفتاح أو أية آلة لفتحها فادرك انها تفتح بواسطة تركيب هذه الأحرف الثلاث فعالجها المرة بعد الاخرى ففتح فجأة وراءه ستار رفع وفتحة ظهرت أمامه وصوت ينبعث من داخلها

فادرك أن وراء هـذا الباب غرفـة الاجتماع فانصت للاصوات فسمع بعضهم يقول .

ـ لقد تم لنا الغرض ـ وقع روجيه من منصة الاعدام أمامى فهللت تكبيرا الأفكار الرئيس . هكذا يموت الخائن .

فصرخ فارنر بصوت عال

ـ افتح . . . افتح . . . ذراع . ذراع

قال ذلك بلهجة المحتد المنتقم .

سمع الاعضاء هذا الصوت العال فاستعد كل لمقاومة ذلك المفاجىء ووضعوا أيديهم على مسدساتهم ثم رفع له استرلتز بنفسه الستار قائلا .

ـ أهلا وسهلا بك ياأستاذ . ماذا جاء بك الينا . علك تروم الانضمام لجمعيتنا . فصاح بكل جرأة

ـ كلا ماجئت الا لأطالبك بحساب روجيه الذى سعيتم فى اعدامه فضحك الرئيس ضحكة عاليه وقال .

ـ أنه حساب يثقل عليك حمله والخروج من هنا حيا .

ـ اذا لم تدفعوا لي حساب روجيه واكون فى منزلى قبل الساعه الثانيه بعد منتصف الليل فستعرضون أنفسكم لمهاجمة من يفضح أسراركم حيث انى اتخذت الحيطه لنفسى قبل الشروع بينكم

ـ سنفعل ان شاء الله ولكن قبل أن تخرج من هنا يجب أن ....

وما كاد يتم استرلتز جملته حتى هجم اثنان من أعوانه على فارنر وأوثقاه بالحبال ووضعوا له كمامة . فتراخت أعصابه وفترت عزيمته وأصبح كأن لافرق بينه وبين سكان القبور .

ثم أمر استرلتز بوشمه فى يده بخاتم الجمعيه وهو كما يعرفه القارىء الذى لاحظته مارى ابنه روجيه على ذراع أبيها ـ وفى نفس الوقت

كلم استر لتر شقيقة فارنر فى التليفون ينبئها بأن أخاها بينما كان صاعدا الى منزل مدام براس بشارع فالنتين زلت احدى قدميه فوقع من أعلا السلم . . فرضت أعصابه وحالته جيده الا أنه يطلب رؤيتها .

سمعت كاترين هذه الاشاره الكاذبه فهرولت لترى ماألم بشقيقها وبصحبتها خطيبها موريس .

أما فارنر فبعد أن اجروا له العمليه وتأكدوا أن منزله أصبح خلوا من أخته وخطيبها نقلوه الى باب داره وتركوه أمامه يتخبط فى آلامه وكان قد أفاق نوعا .

ووقف رجل وامرأة على بعد يسمعان ويريان مايحدث له

وبينما كان فارنر ملقي امام باب داره كان بسكوتين صاحب محل الالبان قد خرج من منزله فى الساعة الثالثة صباحا لاستحضار الالبان كعادته — فمر في طريقه على منزل فارنر فوجده ملقى على الارض فامسكه علة يتمكن من ايقاظة على قدميه فلم يستطع ورآه ذلك الرجل الواقف من بعد فاتى اليه وساعده على اصعاده لمنزله ثم تركهما بسكوتين بعد ان وعد خادمه فارنر بالحضور للاستفسار عن صحته بعد شراء بضاعته

فاظهر الرجل الخفى للخادمه بانه طبيب يعلم باسرار الحكمة فكتب لها تذكرة دواء وامرها باستحضاره فذهبت .

وفى اثناء غيابها كان قد اشار للمرأة التى كانت معه من النافذة فاتت وكان منظرها يدل على انها من الممرضات . فصارت تدلك فارنر مرة فى رجليه وأخرى فى راحتيه بينما كان الدكتور الموهوم يفتش في مكتب فارنر حتى عثر على الكتاب المهدي من روجيه ومذكرة فارنر فاخذهما وخرج .

وبعد ساعة من الزمن دبت الحياة فى فارنر ففتح عينيه ونظر امامه فوجد شبحا ظنه اخته كاترين — وهى فى الحقيقه الممرضة . ثم شعر

بالم في يسرى يديه فاغمى عليه لشدته .

كل ذلك والممرضة تنظر اليه بعينين ملؤها الرأفة والشفقة وقلبه يخفق حنانا لذلك الرجل الذى اتلف أمره استرلتز . وعلتها هى ايضا كانت من ضحاياه . فتنهدت وازرفت الدموع غزارا وتأوهت وصاحت بالعويل حتى استيقظ فارنر على صوت بكائها فشاب الي رشده وتذكر فعلة استرلتز وظن انها مكيدة اخرى يدبرها له استرلتز فسألها قائلا

ـ من أنت ياهذه ؟

ـ أنا ممرضة جئت من قبل اوسترلتز لاسهر على صحتك حتى تعافي

ـ وأين أختي كاترين ، ولماذا لم تكن بجانبي بدلا عنك

ـ لقد أرسل فى طلبها اوسترلتز

فارتعدت فرائصه لسماع ذلك وخشى أن يكون قد دبر لها أمراً فيه هلاكها ، فقام يحاول ارتداء ملابسه ولكن حذرته الممرضة من فعل أى شيء قائلة :

ـ اكشف عن ذراعك وانظر تلك العلامة التى وشمت بها فانها كالعلامة التى على ذراعى وقد أصبحت ضحية مثلى واعلم انك لاتستطيع أن تعمل عملا ضد اوسترلتز الذى لو كان العالم بأسره يعتقد أن هنالك شيطانا فما هو إلا هو . وإنى أنصح لك بأن تنتظر قليلا . والآن وقد عوفيت فاستودعك الله يافارنر .

ثم ارتدت ملابسها وخرجت بعد أن ودعت ذلك الرجل الذى استهوت أخلاقه الطيبة وعشقت آدابه الطاهرة باكية آسفة لفراقه

الفصل السادس

(فى منزل مدام براس)

خطر بموريس وكاترين لأسعاف فارنز كدمك او مستراتن بان فى حاجة لرؤية شقيقته على أثر ما تقدمنا فذهبا توا الى منزل مدام براس فاستقبلاه قبل يستقبلهما به الا السيدة صاحبة المنزل وربيل خادم البلدة ميك البيسح — لاختال التاريخ لسماه وهو الذى تعرض لايقاف سيارة المركيز لويس مرتيمر — فادخلاهما فى غرفة الاستقبال ثم خرجت مدام براس تشاور صاحبها فقالت :

— لقد أخبرتنى ان الذى سيحضر الى منزلى سيدة واحدة لا رجل لها والآن قد حضر معها آخر فما العمل .

— نسعى لتسليمها عن بعضهما باية طريقة وبعدها اذهب لمشاورة رئيسنا فيما نتبعه بعدهما .

— حسنا فكرت . وعليك بالوقوف على السلم الذى أسفل الدار من جهة المطبخ حتى أسهل فى احضار الرجل اولا ثم عودا الى محل وجود الاثنين فقالت السيدة :

— ياحضرة الآنسة ان شقيقتك فى الدور العلوى ويرغب فى لقائك على انفراد فتفضلى معى

فقامت معها كاترين وهى مستانسة لرؤية ماحل باخيها حتى صعدت إلى الدور العلوى فاجلستها فى احدى غرفه وقفلت الباب وأخذت المفتاح ونزلت إلى موريس وقالت له

ياحضرة الفاضل مخابرتك ترجوك أن تصعد لمنزلها وتستحضر لها رداءها الليل اذ نسيت احضاره لعزمها على شقيقها .

فاسرع موريس لقضاء ما كلف به وبينما كان يهبط على السلم هجم على الرجل المنفوخ وأخذه على غرة وحمله الى مخزن الطعام وأوصد عليه الباب .

وخرج الرجل بعد ذلك وذهب الى رئيسه لاستشارته فركب السيارة حتى قرب منزله وكانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل فتصادف أن مر بسكوتين على الرجل وهو يعطى النقود لسائق السيارة فتذكر أن ذلك الرجل هو ذاك الشخص البدين الذي أوسعه ضربا منذ أربعة أعوام فوقف يستمع الى جداله مع سائق السيارة الذى كان يتألم من قلة الأجرة . وبعد أن تركه تشرق باسكوتين لمعرفة أسباب كدر السائق فسأله قائلا

ـ ماالمسألة ياهذا . ؟

فاجاب السائق

ـ لقد ركب معي اثنان منذ الساعة الثانية عشر مساء وطلبا منى الذهاب الى منزل مدام براس وبعد أن غابا بالقصر مدة أتى الى ذلك الرجل وقال لى (اسرع بالعوده بى إلي باريس) فسألته أين أصحابى فأجابنى بقوله (سأجزل لك العطاء) وما برحوعده .

فلما سمع بسكوتين كلام السائق تأكد أن هناك جريمة يرتكبها ذلك المنفوخ فعول على كشف الستار عنها ومساعدة اولئك اللذين وقعا فى قبضته فذهب لمحل تجارته وأخذ دراجته وعجل بالذهاب ليرى ماتمثل داخل قصر مدام براس .

. . . . . .

بينما كان موريس يبحث فى مخبأه عن منفذ للفرار والتخلص من ذلك السجن كان لصان فى هذه اللحظه يسعيان لولوج القصر بقصد السرقه . ويبحثان عن أي جهة للدخول اليه . فاستسهلا الدخول من

الطابق الأسفل فكسرا احدي نوافذه بخفة ورشاقة ـ وكانت توصل الى مكمن موريس . ودخل واحد منهما الى داخل المخزن ووقف الآخر خارجا عنه يتلقى من زميله مايقذفه اليه الأول من المسروقات .

وبينما هو منكب على اداء واجبه قبض عليه موريس وأضاء فى وجهه مصباحه الكهربائى وما كاد اللص يصرخ صرخة الانزعاج حتى ضحك ضحكة عاليه لأنه شاهد أمامه ضابطه القديم فى الجيش وهو المسيو موريس . فأخذ له التحيه العسكريه وسأله عن أسباب حضوره لهذا المنزل فقص عليه القصه ثم أسرعا بالخروج من النافذه لاسعاف كاترين وتخليصها مما وقعت وانضم اليهما اللص الثانى .

وفى هذه الفتره كان بسكوتين قد وصل القصر وتسلق الجدران حتى وصل لأرض الطابق الأسفل فتقابل معهم فتشددت عزائمهم . وصعدوا إلى أعلا الدار وخلصوا الفريسه من مخالب الشيطان ونزلوا ثم أخرج موريس قطعة من النقود ونفح به اللص وزميله فودعاه شاكرين بعد أن أعطاه عنوانه وأظهر أنه طوع ارادة ضابطه فى اي وقت شاء .

ثم استأجر بسكوتين وموريس سيارة ونقلا كاترين المغمي عليها إلى منزل شقيقها فوجداه على أهبة الخروج للبحث عنهما فحمد الله وشكره وبدأ العداء يتجسم بينه وبين استرلتز كلما سمع حرفا من قصة شقيقه وخطيبها .

الفصل السابع

(حبائل الشيطان ـ إلى شركة المساجيري)

خرج الطبيب المزعوم ـ وكان اسمه لوسيوس ـ جزلا بمسروقاته فرحا بكنزه الجديد الأوهو « الكتاب ومذكرة المحامي » قاصدا رئيسه استرلتز ليعرضها عليه فوجده مقطبا جبينه سابحا في لجة من الافكار تأبها في تدبير حيلة يتخلص بها من فارنز الذى وقف على اسراره وخبر مخبآته ـ لاسيما بعد ان نجح في ذلك عقال اخته من يدى العصابة وفاز في التغلب عليه .

فسأله أوسترلتز بصوت عميق

ـ ماذا أتى بك الآن . أمن جديد ؟

فأجابه لوسيوس علي الفور

ـ نعم يامولاى فقد اتيتك بما تروح به عن نفسك

قال ذلك ومد اليه يده بذخيرته . وما كاد يقع نظر الزعيم عليها حتى طرحها على مكتبه ، بهيئة تدل على عدم الاكتراث فاسقط لوسيوس يده وانصت بأذنه عله يسمع أمرا جديدا وبعد برهة من الزمن قال الرئيس بصوت تخالجه الحدة والشراسه .

ـ انك لطفل صغير ياعزيزى . ماهذا الذى اضعت وقتك فيه بدون جدوى وما الذى أخرك عن الحضور حتى الآن . ألقضاء مثل هذا . أم ماذا . . . أجب .

والحقيقة ان الشيطان كان في حاجة الى الوقت ليتسنى له تنفيذ اغراضه الجهنمية باسرع مايمكن وعرقلة مساعى عدوة قبل ان تحين له الفرصة فقال أخيراً

ـ ياليسوس . أن فارنر الآن يسعى لفضح امرنا لولاة الأمور وليس أمامنا من وسيلة نستعين بها عليه الا أن نداهمه بأوراق حجزتها عندى منذ غرق والده سنة ١٩٠٠ فعجل باستحضارها من خزانتي بالدور العلوى وهاك المفتاح .

فتناول الطبيب المفتاح وبأسرع من البرق كان أمام رئيسه وبيده محفظة محشوة بالاوراق فأخذا يفحصانها حتى وجدا جواز سفر بشركة المساجيرى من مرسيليا الى مراكش صادر باسم الجنرال فارنر السفير الفرنسى ببلاد المغرب بتاريخ أول يناير سنة ١٩٠٠ فصاح استرلتز صيحة الفرح قائلا .

ـ لقد انتصرت على أعدائى . .

وبينما كان اوسترلتز ينصب الفخ لفارنر كان الأخير مع صديقه موريس ـ خطيب شقيقته ـ فى دائرة البوليس يقص على القومسير ماوقع له فصرح له بثلاثة من رجال الحفظ لمرافقته والقبض على الشيطان استرلتز . وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى منزله فأوقفهم خارج الباب ودخل بمفرده فألفاه مع صديقه لوسيوس على نحو ماقدمنا فأشار الزعيم لصديقه بالانسحاب . وخلا الجو للأثنين فصاح فارنر .

ـ أنى آت بالأمر للقبض عليك .

فضحك الشيطان ضحكة عاليه كادت تلقيه على قفاه لشدتها وقال ـ

ـ لا بأس لفعلك . . ولكن ماذا أصابك يافارنر . . أولى لك أن تلقى بنفسك فى غياهب السجن بدلا من أن تأمرنى بهذا الأمر ومن أنت حتى أأتمر بقولك ؟ اللهم أن كنت لاتعرف فعلى البيان .

فقال الشاب بغيظ .

ـ أنا جاك فارنر بن الجنرال فارنر سفير الدولة الفرنسيه فى مراكش وان كنت تريد زيادة فى الايضاح فأنا أبو المحاماه فى باريس فما رأيك ؟

فضحك الرجل ثانيا وقال بدهاء

ـ ها . ها . ها . لأول مرة كذبت يافارز وما أعهدك كذلك .

ـ وكيف ذلك ياهذا . ؟

ـ انك لست بن سفير فرنسا كما تدعى بل أنت ابن جاك روجيه ذلك المجرم الأثيم الذي أعدم بالامس .

ـ لعلك تهذي ولا تعى ماتقول . لسنا الآن فى موضع مزاح بل أنت فى أشد المواقف حرجا وسوف تكافأ بما قدمت يداك .

ـ لاأقول ذلك الاعن ثقة تامة . ولست أهرف بما لاأعرف كما تقول

ـ لايمكنى باي وجه من الوجوه أن أعترف بصحة كلامك الا اذا أتيتنى بالبرهان البين والدليل القاطع على صدق قولك . فوالدى رحمه الله مات غريقا سنة ١٩٠٠ هو ومئات الراكبين على الباخرة « نياجرا » عند غرقها .

ـ كلا ياعزيزى لم يمت والدك الا أمس فقط بدليل أنه لو كان مات غرقا لما كان جواز سفره باقيا الي اليوم .

قال ذلك ثم ناوله اياه وما كاد يقع نظره على اسم والده المكتوب على الجواز حتى تاه رشده وتأكد أن اوسترلتز على يقين من قوله ، فخرج الى أصحابه كسير القلب حزين الفؤاد فوزع الجند وزامل رفيقه الى منزله واليأس يكاد ينهشه يسائل نفسه في مشيته

ـ أصحيح انني ابن المقطوع الرأس بالأمس أحقا انا ابن المجرم القاتل نعم . نعم . أنا ابنه بعد أن شاهدت الدليل لعيني رأسى .

وأخيراً قر رأيه على عدم الاخذ بكلام ذلك الزعيم القاسى القلب فانتدب فى اليوم التالى لسماعه هذا الخبر صديقه موريس لاستكشاف حقيقته من دفاتر شركة المساجيرى بمرسيليا

وفي صبيحة اليوم التالى كنت تشاهد على افريز المحطة المسيو موريس

ومعه مساعد (لوجيه) الجندى أو اللص الذى ساعده على الفرار من قصر مدام براس قاصدين مرسيليا فى ذمة الله .

الفصل الثامن

(الوداع ياماليك الفؤاد . . !)

فى صبيحة يوم ١ نوفمبر سنة ١٩٢٠ بينما كان فارنر منكبا على عمله بمكتبه جاءته خادمته وقالت . بالباب سيدة مقنعة تروم مقابلته على انفراد ياسيدي

ـ أذنى لها بالدخول .

فذهبت وعادت بغادة هيفاء مليحة الجسم طويلة القامة مقنع وجهها بحجاب ثقيل لم ترفعه الا بعد أن تاكدت من خلو المكان . وما وثقت من ذلك رفعته أمام فارنر فانزعج لرؤيتها واقشعر جسمه لحضورها ذلك لأنها كانت تلك الممرضة التى اتت لمباشرته بعد وشمة فلا حظت دهشته وقوت عزيمته قائلة

ـ خفف مابك يافارنر وما أتيت اليك الا لاشفاقى عليك

ـ كيف تقولين ذلك . وكيف اعتقد بكلامك هذا وانت أحد افراد العصابة المشؤومة وعضو عامل بها . ؟

ـ لا . لا تقل ذلك فما أنا الا ضحية مثلك وقعت بين مخالب الثعلب ولا يرضيني مع ضياع سمعتى أن أراك واقع فى شركهم مثلى

ـ لا أثق بكلامك مهما أظهرت من العطف والحنان

وكانت اثناء كلامها تنظر اليه نظرة مغرم صب يئس من محبوبة فجاء يودعه ويتنسم طيب روائحه قبل أن يعزم على قتل نفسه أو يفارق حياته والحقيقة أن هذه المرأة كانت قد عزمت على الانتحار فجاءت

تودع فارنر الذى استهوى قلبها وهامت به هياما، فلما وجدته معرضا عنها خائفا منها مدت اليه ذراعيها عن بعد متمتمة .

ــ الوداع ياملیك الفؤاد . . الوداع يامن اسرت قلبى وتملكت جناني وخابت ابى . . فلك حبى الى يوم البعث والنشور الوداع ... الوداع

قالت ذلك فلم يعرها التفاتا . لاغلظة منه وقسوة بل احتياطا ورهبة . وقادها حتى الباب وقد أثر فيه منظر يأسها فاسرع إلى معمل ألبان بسكوتين فالقاه غريقا في زبده فقال له

ــ تتبع هذه الفتاة. ولاتدعها تغيب عن نظرك وخذ الحيطة لنفسك ولها فكان كالبرق سرعة ــ اذركب دراجته وكانت ساعدة فى مسابقاته وترويح نفسه وتتبع سيارة السيدة عن بعد حتى اذا قاربت كبرى السكة الحديديه نزلت منها وقالت للسواق .

ــ انتظر خمسة دقائق امشى فيها قليلا اذا تعبتنى مواصلة الركوب

ثم مشت حتى منتصف الكبرى وكان القطار قد أوشك على المرور من تحته فتسلقت سوره وهمت بالقاء نفسها في طريق القطار المار فهجم عليها بسكوتين باسرع مايمكن ومسك بأذيالها حتى مر القطار ولم تصب بضرر ولما أفاقت لنفسها خاطبته قائلة

ــ لم منعتنى ياهذا من تنفيذ ما كنت عازمة عليه . ؟

ــ منعتك بأمر الاستاذ فارنر الذي كلفنى باتباع خطواتك . فعليك إذن بمقابلته . فلما سمعت منه ذلك فرحت وطربت وشعرت بالامل . فركبت وهى جذلة مع بسكوتين السيارة حتى وصلت إلى معمل البانه الذى كان ينتظرهما على بابه فارنر فقابلاه وقصا عليه القصة فلم يبق عنده شك من جهة هذه السيدة وكان اسمها مادلين ــ واعتقد بانها ضحية مثله فسألها على الفور

ــ خبرينى ياحضرة السيدة ماالذى جمعك على هذه الجمعية وما سبب

انضمامك اليها فقالت — إجابة لطلبك أقص عليك الآتي : —

كان والدى صرافا ببنك اوسترلتز وكنت أتردد لزيارته بمكتبه من يوم لآخر كلما سنحت لى الفرصة — ففى يوم من الايام بينما كنت ذاهبة اليه اعترضنى الطبيب لوسيوس فى مدخل البنك فسلم على وضغط على يدى بحرارة زائدة وتهيج شديد فلم أهتم لأمره ولم تمض بعد هذه الحادثة ثلاثة أيام حتى آتى والدى من البنك فى سيارة بصحبة الدكتور لوسيوس وظاهرة عليه علامات المرض الشديد — يمكننا أن نقول أعراض التسمم الشديد فوضعناه فوق الفراش ولم تمض عليه أربع وعشرون ساعة حتى وافاه القدر المحتوم وصرت من بعده وحيدة لا أم أشكو لها حالى ولا أخ يساعدنى فى معترك الحياه ورأى لوسيوس الذى أظهر لي العطف والحنان فى ذلك الحين ان الفرصة سانحة له فكان يكثر التردد على من وقت لآخر . حتى زادت عدد مرات زيارته لى فى يوم من الايام على العشر مرات . ثم انقلب فجأة بعد مرور الاربعين على والدى وصار يأتى لا للزيارة واظهار العواطف الودية بل لتشاكى مرارة الحب ولوعة الغرام وكان الوقت لا يسمح بذلك فى ذاك الحين فحذرته من الحضور لدارى مرة أخرى على أثر لثمه شفتى عنوة بعد أن هجم علي كاللبؤة الثائرة . ولم تمض مدة وجيزة على طرده حتى فاجأنى فى يوم من الايام الزعيم اوسترلتز ومعه لوسيوس وعامل آخر لا أتذكره فدخلا على فجأة واخبرانى أن والدى فى حياته اختلس خمسين الف فرنك من البنك وانهم حضروا للبحث فى المنزل عن المبلغ . ولشقتى بأن المرحوم والدى لا يفعل ذلك ، صرحت لهم بالتفتيش فى جميع غرف المنزل ونواحيه وما فتئوا يعملون حتى جاءوا بعد ساعة زمنية بالمبلغ المفقود من زهرية ولسذاجتى وعدم معرفتى بالامور أيقنت بصحة دعواهم واعتقدت بأن والدى كان لصاً سارقا . ويشهد الله والناس جميعاً أنه كان بعيداً عن مثل

تلك الوصمة ، نزيها في عمله تقياً لآخرته .

نظر إلي اوستراتز وأصحابه نظرة وحشية وهددانى بانهم سيبلغوا أمرى الى البوليس ـ ولا ذنب لى ـ فيقبض على وأرسل الى السجن بجريرة غيرى فضاقت الدنيا فى وجهى واعترتنى نوبة عصبية . غشى على منها فسقطت على احدى مقاعد غرفة الاستقبال ولم أفق الا وأنا فى منزل فسيح الارجاء وعلى رأسى الدكتور لوسيوس الذى قال لى : « أولى لك يامس مادلين أن تقترني بى فتصبحين فى عيش هنى وعز شهى بدلا من أن تكرني نزية مهاوي الشقاء ونقمين فى يد القضاء »

وكنت أكره صوت ذلك الرجل وأعده من الانذال المجرمين فرضيت قهراً . ووافقت مجبرة على ذلك القران المشؤوم وباليته تم . . ففى مساء ذلك اليوم بينما كنت جالسة معه أتناول طعام العشاء مد إلي بكأس من الخمر كان قد أشبعه عقدرا لشربته ولا أدرى مايحويه فما كاد يصل الى امعائى حتى أحسست بخمول فى نفسى وهاجاً فى المعدة فنمت نوما عميقا .

فكيف لى القدر المحتوم والقضاء المبرم كان يتربص لى فى تلك النومة فما استيقظت فى صباح اليوم التالى إلا ووجدت نفسى أنا واللعين بفسنا فراش واحد وقد سبغت ملابسى بالدماء فضاع شرفى هباءاً منثورا . تألمت ذلك ثم أعولت بالبكاء والشهيق . . . . حتى صبح فاز وبكوين وبعد ان هدأ روعها استأنفت حديثها قائلة .

ـ وددت أن أفر من المجرم بعد ذلك فكنت اجد الحراس أنى ذهبت فى طريق . والابواب موصدة أمامى وصار يفعل بى كل مساء مافعله بالامس . حتى هزل جسمى وضاعت زهرة شبابى . وكنت فى بحر هذه المسافة قد وشمت بوصمة العار وانخرطت فى سلك الاشرار ، المستطلع حالهم مجتهدة فى عدم التعلق بأخلاقهم ولا التطبع بطباعهم .

وكم من ضحية مثلى وقعت فى مخالبهم . . . .

ثم رأيت أن الاجدر بى أن أظهر الميل للوسيوس الذى هو فى الحقيقة وكيل اوسترلنز وساعده الايمن فوثق بى واستأمنى على أسراره والحمد لله قد أصبحت الآن على خبرة تامة بمخبآتهم ومستنداتهم وأوراقهم ومشروعاتهم وكل ماهم ساعين فيه . هذه قصتى قصصتها عليكم فهل تلومونى إذا لو شاهدتمونى أسعى فى التخلص من هذه الحياة المرة والعيشة الدنيئة أظن جوابكم « لا . . لا »

نظر فارنز لبسكوتين بعد ان اكتشفا سر أعمال الشيطان اوسترلنز وشركاه فدهشا لفظاعته واستغرباه أن يكون من البشر وقد برهن أن الوحش أقل منه وطأة وأخف جرأة فقال فارنز للسيده .

— الآن وقد أصبحت منا ولنا فاذهبى الى مقرك مع لوسيوس وراقبيه عن بعد وكلما سنحت لك الفرصة تردى علينا . علنا نستطيع أن نكبح جماحهم ونرد كيدهم .

انتعشت الفتاة ومسكت بيدى فارنز الذى دبت فى نفسه عواطف الشفقة والرحمة ولثمتهما مودعة قائلة .

(لاتلمنى محبة لك مغرمة * اذ بالغرام يزول كل كلام)

الفصل التاسع

(وكيل الشيطان لوسيوس الملعون)

نعود بالقارىء الى مارى مونبليه ابنة المعدوم فانها فى صبيحة يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٢٠ أى اليوم الثاني لوفاة والدها . شاهدت بينما كانت تقلب صفحات احدى الجرائد الفرنسيه المصوره صورة لوجه رجل معدوم وذراعه بجواره ظاهر عليه الوشم (آرم) تحت عنوان

« المجرم » فقرأت المقاله وعرفت أن الصوره لرجل يدعى جاك روجيه حكم عليه بالاعدام لأتهامه بجناية قتل امرأة ، فاطمأن قلبها . الا أن وساوس الشيطان ووجود الوشم الذى لاحظته لوالدها فى حياته وانطباق الصورة لشكل والدها شتت افكارها وحيرها فى أمرها فرأت أن الوسيله الوحيده لكشف الستار أن تذهب لوكيل المتهم والمدافع عنه الاستاذ فارنز المحامى فاصطحبت ذخرها فى الحياة وهى ابنتها الصغيره وعجلت بالسفر الى باريس وما كادت تصل الى محطتها حتى استأجرت سيارة لمنزل الاستاذ فارنز .

وكان فارنز فى ذلك الوقت موجود بمنزله يقرأ لشقيقته تلغراف من صديقه موريس ينبئه بوصوله الى مرسيليا سالما وأن المسأله سائرة بانتظام .

قرعت مارى الجرس وأذن لها بالدخول وبعد أن جلست طلبت من المحامى أن يأمر أحد الموجودين بأن يحجب ابنتها الصغيره عن سماع كلامه معها — فأشار لشقيقة كاترين فأمسكتها بيدها وخرجت بها لأحدى غرف الدار .

وبعد ان وثقت مارى بأن ابنتها أصبحت بعيدة عنها طرحت الصحيفة المصورة التى كانت معها وأشارت الى صورة جاك روجيه المقتول قائله .

— أتعرف ياأستاذ لمن هذه الصوره . فأجاب

— نعم ياسيدتى هى صورة رجل اسمه جاك روجيه وكلنى للدفاع عنه فى قضيه أتهم فيها بالقتل .

— ألا تعرف أن له اسما آخر

— أنى على يقين من أن لا اسم له سوى ما ذكرت

— هل لو قلت لك أن اسمه جون مونبليه تثق بذلك

ـ من المحال ياعزيزتى أن أصدق بأن جون مونبليه ابن مونبليه شاعر فرنسا القدير يأتى بعمل ذلك المجرم

وما كاد يصرح بذلك حتى تذكر وصية المقتول التى أوضح فيها أنه من عائلة طيبه ومن أصل شريف فصاح قائلا .

ـ وما الذى يحملك على الاستفسار عن ذلك .

ـ يحملنى على ذلك ريب يداخلنى وشك يملأ جل عقلى وجسمى فلو قلت لك أن هذه الصوره تنطبق تماما على صورة والدى وان هذا الوشم الذى بذراعه هو بعينه ماسألته عنه منذ أيام وأخبرنى أنه بجميه سريه غرضها مساعدة الضعيف لعلمت سبب اسئلتى وتحقيق . فأنا ابنة جون مونبليه الوحيده ولا عضد لى سواه

ـ نخفف عنك . واعتقدى بأن الشبه كثير ورأيى أن تذهبى الى استرلنز الذى كان من أكبر الشهود ضد زوجيه فى هذة القضيه وتسألينه عن حقيقة المسأله علة يفيدك يا ترشين .

وبينما كان فارنر فى حديثه مع السيده ماري دخلت خادمته وناولته بطاقة استرلنز فسألها قائلا .

ـ هل معه أحد . فاجابت

ـ نعم ياسيدى بصحبته رجل آخر تظهر عليه علامات التوحش والافتراس . فقال لها

ـ دعى استرلنز يدخل بمفرده . ثم مال الى ماري وقال .

ـ لقد اراد الله الاتخرجين من هنا الا بعد أن تكشفين القناع عن شخصية المقتول فهاك استرلنز قد أتى فاسألينه عما تشائين .

دخل استرلنز فتقدم فارنر السيده ماري اليه قائلا .

ـ بحكم الضرورة وعلمنا فى كشف مسأله اقدم اليك السيده ماري مونبليه ثم تركهما ودخل غرفة مجاورة يسمع وينظر ماسيقولانه .

التفت الشيطان إلى الفتاة وقال بعد ان استلفت نظرة صورة المقتول في المجلة المفتوحة على الطاولة .

ـ علك جئت للمسيو فارنر للاستفهام عن اسم موكله . فأجابت

ـ بلى . أراني كأنك بأمري عليم

ـ اعلمي أيتها المسكينة أن والدك جون مونبليه الذي كنت تظنين بأنه ملك كريم أو قديس طاهر انما هو نذل جبان ، كان يعمل في الخفاء تحت اسم مستعار « جاك روجيه » أعمال الاشقياء الاشرار . حتى وقع في شر أعماله فنال الموت جزاءاً له وعبرة لغيره . وان تلك الصورة الظاهرة أمام عينيك الآن لهي حقيقة صورة والدك وهو على آلة الاعدام « الجلوتين » فهل تطلبين بعد ذلك زيادة في الايضاح . ؟

قال مقاله هذا برباطة جأش وثبات ولو نظر الى الفتاة لألفاها من أول حرف لفظ به شاردة الفكر تائهة العقل . وصارت المسكينة تسائل نفسها

ـ أفي يقظة أنا أم في المنام . أمجرم أبي أأنا ابنة جاك روجيه المجرم السفاك . نعم نعم . ويالله العار . . . واحسرتاه .

وصارت تردد مثل هذه الالفاظ حتى غشي عليها وما استيقظت الا وكان الخبل قد استولى عليها والجنون قد تسلط على جنانها فصارت تهذي هذيان المحموم وتصرخ صراخ المكلوم قائلة .

ـ الى نيس . . الى نيس . . الى نيس . . وكنت تشاهد ابنتها الصغيرة تضمها لصدرها الصغير تسائلها

ـ أماه . أماه . ماذا أصابك ؟ ماذا حل بك . كنت في منزلك اهدأ حالا وأسكن جنانا . أماه مالك قد تغيرت . مالك لا تردين على صغيرتك ألا تشفقين على حداثة سني ومالي سواك . أماه بالله اتركي البكاء والعويل

ولا تصرخين فقد آلمتني حالتك وأخافتني صرختك . اتودين أن نرجع بيتنا ؟ خبريني بما فيك

كل ذلك كانت تلقيه الصغيرة هيلين على أمها علها ترجع الى رشدها فما كانت ترى الا اعراضاً منها وبلها .

فلعنة الله عليك يا اوسترلتز يامن سببت الشقاء لبيوتات باريس وأهلها وويل لك من يوم لا تنفعك فيه شفاعة شفيع يوم تستغيث ولا مغيث وتندم ولات ساعة مندم .

لما شاهد الدكتور لوسيوس — الذي كان بصحبة استرلتز ماحل بالفتاة استشار عليهم أن ينقلوها الى مستشفاه لمعالجتها فاستحسن الشيطان رأيه ونقلاها الى السيارة ومنها الى دار لوسيوس

اما استرلتز فانه مال الى فارنر وقال .

— خذ ميراث والدك روجيه الذي تركه لك فان ذمتي لا تقبل حيازة هذه التركة لنفسي فدهش فارنر لذلك وأجابه قائلا .

— مهما يكن من الأمر فسآخذ هذا المبلغ لا لأصرف منه على نفسي وأسرتي . كلا بل لاستعين به عليك فاحاربك به .

— اصنع ماشئت فما عملت الا الواجب الذي يوحيه الى ضميري

قال ذلك ثم انصرف يتبع السيارة التي تقل لوسيوس وماري مونبليه ولما وثق فارنر من - لو المنزل من الشيطان قرع جرس التلفون طالبا مادلين تلك السيدة التي هي ضحية الشيطان اوسترلتز المقيمة بمنزل لوسيوس فصاحت هذه

— من أنت . ؟ فأجاب .

— أنا فارنر

— أهلا بك يامسيو فارنر كيف حالك ؟

— على مايرام .

ـ هل من جديد فى المسأله ؟

ـ نعم بعد برهة وجيزه ستحضر الى منزلك فتاة بعقلها خبل سببه لها استرلتز لمعالجتها بمعرفة الشقى لوسيوس فحذار من أن يمد اليها يده . فأجابت

ـ هـذا أمر لاأضمنه فلوسيوس كما تعرف شرير وأن منعته عن ضررها دخله الشك من جهتي وأنى أرى أن أحسن الأمور أن أسعى فى خلاصها منه بتهريبها . فما رأيك ؟

ـ رأى حسن أوافق عليه وسأرسل لك فى الساعه الثانيه عشر من مساء اليوم سيارة فعندما تسمعين البوق ثلاث مرات تنزلين بصحبة الفتاة الى السياره وتركبانها حيث أقابلكما فى الطريق .

ـ سأفعل ان شاء الله .

ـ واذا استطعت سرقة المستندات التى بين يدى لوسيوس وكتاب السجن والتذكره الداله على تبيعتي للمقتول جاك روجيه فتكونين قد أحسنت فعلا :

ـ سأسعى فى ذلك وعلى الله الاتكال

وما انتهت من حديثها حتى دخل لوسيوس واسترلتز بصحبة مارى مونبليه فنتركهم الآن يبحثون لها عن العلاج . . . .

ونعود الى فارنر فأنه أسرع بالذهاب الى بسكوتين فرآه عابس الوجه مقطب الجبين يتشاجر مع زوجته قائلا .

ـ الا تحمدين الله الذي أنعم علينا بمثل هذه التجاره فتمكنا من فتح معمل البان يتمني الكثير من الناس أن يكون له ؟

ـ اننى أفضل أن نعود الى تجارتنا الأصليه على أن نكون فى ذلك النعيم الذي تدعيه .

ـ أنسيت ياعزيزتى ماكنا نلاقيه من متاعب السفر والمبيت فى

الحر والبرد والسيول التى تنزل على رأسينا . تذكرى يوم كنا نتروى فى الطرقات . . قارنى هـل حالتنا الآن كسابق معيشتنا الأولى علك تتوبين الى رشدك .

ـ لا . لا . مهما فعلت فلن أتغير عن فكرى فقم وعجل ببيع المحل لأخذ السماسره ولنا رب اسمه الكريم .

ولهيامه بزوجته . . خرج بسكوتين من محله قاصداً سوق الدلالين فقابله فارنر الذى شدد عزيمته وقال له .

ـ لا بأس من أن تبيع تجارتك على شرط ألا تعود لعملك الأصلى بل تساعدنا وتكون معنا فأنا فى حاجة الى رجل مثلك يساعدنا في الحياة ويساعدنى على عبورها فتشجع باسكوتين وبأسرع من البرق كان المحل مطروحا للمزاد وانتهي الأمر ببيعه

مضى بعد ذلك فارنر وبصحبته بسكوتين وزوجته وابنهما الصغير الى منزل الأول فأوضح له ماحصل بينه وبين ماري واسترلتز وأمره بأن يستعد فى منتصف الليل لاستئجار سيارة والذهاب إلى عيادة لدكتور لوسيوس وأعطاه التعليمات اللازمة التى اتفق عليهامع محبوبته مادلين .

وفى الساعه الثانية عشر من مساء ذلك اليوم كنت تجد بسكوتين داخـل سيارة وبصحبته زوجته وابنه وابنة مارى الصغيره فى جهة قريبه من منزل لوسيوس . فندعهم الآن ينتظرون وقد نفخ بسكوتين النفخه الأولى ونعود إلى مادلين فانها على أثر سماع البوق لأول مرة قامت من مرقدها ووجهت وجهها شطر السيده مارى التى لم تذق طعم النوم ـ وهل يذوق النوم الا ممتع ـ فالفتها جالسة تقول .

ـ الى نيس . . الى نيس . . فبشرتها قائله

ـ ستكونين بعد برهـة بإهـذه فى مدينة نيس فشددى عزمك

وتقوى معى .

نعم نيس منتهى حبى . . نيس مبعث أملى وجـل رجائي . أحقا تقولين أنا ذاهبة الى نيس . يالك من طيبة القلب .

وكانت في خلال كلامها تضحك الضحكه تلو الأخوى بصوت عال فخشيت مادلين من استيقاظ الخدم وضياع الرجاء فمالت اليها وقالت .

ـ صبراً عزيزتى ، فلن تمضى ساعتان حتى تكونين فى نيس وأقللى من كلامك .

قالت مادلين ذلك ومالت ترتب أدوات الرحيل وأخذت المستندات اللازمة وما كادت تخطو شطر باب الغرفـة حتى سمعت حفيف أقدام تقترب من الباب فهرولت ودست مامعها وأخفته عن الانظار وازداد وقع الاقدام واقتربت حتى ظهر على الباب لوسيوس بوجهـه العبوس فاشار لها مناديا .

ـ مادلين . لم أنت مستيقظة الى الآن ونحن فى ساعة متأخرة من الليل . ؟

ـ ان تلك الفتاة كثيرة اللغو والكلام . وأرقها مما يزيدنى تألما لها ورثاء لحالها فرأيت أن أمكث معها علنى أخفف من وطأة مرضها فتعود الى عقلها وتثوب إلى رشدها .

ـ أظن الاجدر بنا أن نعطيها مخدر كى تنام .

ـ أنت وشأنك فانك طبيب ذو خبرة بالامراض فمال لوسيوس إلى زجاجة المخدر وبدأ يحضر حقنة ولحظت مادلين أنها لو فرغت فى جسم ماري لبقيت نائمة ثلاثة أيام . . .

وكان البوق قدتوالت صيحاته حتى خشيت مادلين من ضياع الوقت فتعمدت أنها فى حاجة الى النوم وتثاءبت ورفعت يديها واحتهما إلى الوراء فوقعت الحقنة من فوق الرف وسقطت الى أرض الغرفـة

وشاهد لوسيوس سقوطها فانحنى لأخذها من الأرض فاسرعت مادلين بضربة على أم رأسه بزجاجة المخدر الكبيرة ضربة القته على الارض لايعى مايقول وعجلت بالخروج مع صديقتها فألفيا السيارة بانتظارهما فركباها فى طريقهم الى مدينة نيس تنفيذاً لرغبات المريضة فمع السلامة أيها البؤساء ورعاكم الأله .

الفصل العاشر

(حقيقة فارنر — إلى مرسيليا — مساعى الشيطان)

نعود إلى موريس خطيب كاترين وصديقه أومساعده لوجيه فانهما بمجرد وصولهما الى مرسيليا (١) عمدا إلى شركة المسافيرى فأمر لوجيه بالانتظار على الباب الخارجى للشركة ليترقب حالة الجو وهل هناك من يتعقب أثرهما ويتتبع خطواتهما ثم دخل هو بمفرده فقابل وكيل الشركة وحياه وبعد أن استقر بهما المقام قال له .

— هل لسيدى أن يسمح لى بالكشف من دفاتر الشركة عن مسافرى سنة ١٩٠٠ . فأجاب الرجل .

— بكل ارتياح .

ثم قام الى دفترخانة الشركة وأخرج الدفتر المطلوب عن سنة ١٩٠٠ ثم مال الى موريس وقال .

— ماهو الاسم الذي تود أن تكشف عنه .

— اسم سفير فرنسا فى مراكش . الجنرال فارنر .

— آه تذكرت هذا الاسم . اليس هو ذاك الوطنى الذى مات غرقا

---

(١) فى أثناء سفرهما بالقطار كان فى أثرهما ذلك الرجل الضخم الجثة (المنفوخ) وكان مرتديا ثياب امرأة وقد جاس على مقربة منهما .

على ظهر الباخرة « نياجرا » ؟ .

ـ نعم هو ذلك الرجل

ـ ولماذا تريد البحث عنه بعد أن تأكدت أنه مات غرقا ؟

ـ كلا ياسيدي فالبعض يقول بأنه لم يمت الا منذ أيام . ولم يكن ضمن الغارقين سنة ١٩٠٠

ـ وكيف ذلك . ؟ ! !

ثم قلب صفحات كراسته حتى عثر على أسماء المسافرين فوجد اسم الجنرال فارنر من بينهم فنظر الى موريس وقال

كن على ثقة ياهذا بأن من انبأك هذا النبأ ماهو الا كاذب مختلق ويمكني أن أرشدك الى رجل عجوز كان أحد وكلاء الشركة فى سنة غرق الباخرة نياجرا يمكنك ان تتأكد منه عن الموضوع .

ـ فكر ثاقب ونتيجة حسنة ، فهل لك أن ترشدنى الى مكانه وتدلنى على محل سكنه حتى أصل اليه فيكون لك الشكر .

ـ نعم . أنه مقيم فى مدينة نيس مع خادمته العجوز ويدعى روبرت روش وخذ رقعتى هذه اليه فسوف يحسن وفادتك ويعتنى بأمرك فخرج موريس شاكرا يقصد السفر إلى نيس توا غير أنه ما كاد يخطو نحو الباب حتى انبأه لوجيه بانه شاهد رجلا يشبه استرلتز يمر جيئة وذهابا على باب الشركة وأنه كان من بعد يتربص للداخل والخارج واقترح عليه أن يخرجا من الباب القبلى لمسكن الشركة عوضا عن الباب العمومى ، وفعلا خرجا منه . الا أن موريس لم يرض أن يترك استرلتز بدون أن يهدم آماله فاتبعاه فوجداه دخل الشركة والظاهر أنه دخل للاستعلام عن موت الجنرال فارنر . والحقيقة ذلك . فقد سأل وكيل الشركة الذى اعترف له بان رجلا أتي اليه منذ برهة وطلب منه ايضاحا عن موت الجنرال فارنر وبين له أن هناك رجلا يدعى روبرت روش يسكن

فى نيس يمكن الاستدلال منه .

وبعد أن وقف على معلومات وكيل الشركة خرج استرلتز للبحث عن فندق يستريح فيه من عناء السفر فتتبع أثر لوجيه وحياه قائلا

ـ انا أحد عمال الفنادق واراك غريبا عن البلد فهل لك أن تؤم فندقنا المسمى (بزهرة الغرب) ففيه الراحة التامة فانخدع استرلتز لأول مرة فى حياته وذهب معه إلى الفندق ـ وكان موريس قد سبقهما واستأجر غرفتين متجاورتين فى الفندق المذكور توارى فى احداهما وترك الأخرى خالية ـ فدخلا سويا حتى وصلا الى الغرفة الخالية وما استقر بهما المقام حتى قام لوجية الى الباب وأوصده . فلحظ استرلتز أن هناك مكيدة تدبر ونفخا وقع فى حبائله فعمد الى مسدسه وصوبه نحو رفيقه الا أن باب الغرفة المجاورة فتح فى تلك اللحظة فجأة ودخل منه موريس صائحا

ـ ارفع يديك والا قتلناك قتلة تذل جبان فخشى ذلك سوء العاقبة فألقى بمسدسه الى الارض ورفع يديه علامة الاستسلام للقضاء والوقوع فى المحظور . وقال له موريس .

ـ اقترب ياهذا واخرج ماتحويه جيوبك وما تشمله حقائبك

ففعل الشيطان ماأمر به بكل هدوء .

ألا أنه فى تلك اللحظة جاء خادم الفندق وطرق الباب مرات متوالية فانتهز اوسترلتز الفرصة وصرخ بأعلا صوته

ـ ادخل . . . ادخل . . .

وخشى موريس سوء العاقبة ففتح الباب ودخل الخادم الغرفة وما كاد يشاهده اوسترلتز حتى قال له .

ـ ساعدنى يابنى ساعدك الله . فانى رجل كبير السن طالما تنتابنى قشعريرة الكبر ومد إلى يدك لأتمشى معك فى الحديقة .

وكان أثناء كلامه يظهر الرعدة ويتعمد اظهار العجز حتى اقترب

منه الخادم وساعده على النزول الى السلم بعد أن لبس ملابسه ووضع أوراقه فى جيوبه . وخرج الى ساحة الدار ـ ولم يحظ القط بالفأر ـ

ثم أمر الخادم باستئجار سيارة لينزه نفسه ويروحها من عناء الكبر ولم تمض خمس دقائق حتى كانت العربة امامه فركبها وامر الحوذى بالسير الى ميدان الطيران بمرسيليا حيث كانت هناك طيارته التى حضر بها من باريس الى مرسيليا فركبها وطار الى نيس فوصلها الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم . وعمد الى مسكن وكيل شركة المساجيرى القديم المسيو روبرت روش وكان ذلك الرجل طويل القامة ذو لحيـة كثيفة أصلع الرأس . أحنت ظهره الايام والسنون . اشتغل فى آخر أيامه ببذر الزهور والرياحين . فكانت تجد حديقة داره روضة يرتاح فيها البال الحائر ، ويسر منها الفكر المنشغل . تزيل الهموم وتبعث في النفس النشاط وهكذا عادات المسنين من الافرنج بدلا من أن يقضى وقته فى النوم والكسل وينتظر ملاك الموت بين فترة وأخري . يخلق له من الخمول عملا ومن السكون زميلا ، يساعده على قطع البقية الباقيـة من مرحلة حياته حتى يوم مماته .

طرق اوسترلتز الباب فخف لفتحه ذلك الرجل النشط واستقبله بابتسامة ودية وتحيات أدبية حتى قاده لغرفة الاستقبال وكان الزعيم ينظر أمامه وخلفه بين اللحظة واللحظة ولما أخذ كل مجلسه . بدأ اوسترلتز الحديث.

قال : — جئتك أيها الشيخ فى أمر ذى بال .

ـ اعرض ماعندك ياسيدى فكلى آذان صاغيه

ـ أتتذكر قبل كل شىء غرق الباخره نياجرا . ؟

ـ نعم كان ذلك فى سنة ١٩٠٠

ـ وهل كان من بين راكبيها الجنرال فارنر سفير فرنسا .؟

ـ نعم وقد مات غرقا مع من كان معه بالباخره

اوضح لى كيف كان غرقه

ـ لما كنت بشركة المساجيرى وصلنى خبر عزم الجنرال فارنر على السفر الى مراكش ولكونه رجل عظيم الشأن كبير المقام . استخرجت له جواز السفر من الشركه وذهبت اليه فى فندق (البراديزو) قبل قيام الباخره بثلاثة أيام وفى اليوم المحدد للسفر جاءنى بحالة مزعجة وقال لى (لقد سرقت نقودى ومستنداتي وبينها جواز السفر) ولما كانت علامات الانزعاج بادية عليه خففت المسأله عليه وأظهرت له اننى أستطيع أن أساعده فاستخرجت له جوازا آخر ونقدته بعض دراهم كانت متوفرة عندي الا أنه لم يرض أن يأخذ منى مليما الا اذا كتب لى وثيقة بالمبلغ المدان به فكتبها وأعطانى ساعته أيضا رهنا عندى . ثم سافر وحدث ان غرقت الباخرة فكان من ضمن الغارقين ويا ليت له وريثا يأتي فيأخذ ساعته ووثيقته فانا فى حاجة الى الدراهم التى ساعدته بها لأسد ما على من الديون

قال ذلك ثم عمد بعد ذلك الى مكتبه وفتحه وعاد وبيده ساعة ذهبية والوثيقة واراها لصاحبنا استرلتز الذى كمد الغيظ في نفسه ورأى حيلته التى يموه بها على فارنر سوف تظهر طالما يملك ذلك العجوز تلك الدلائل الساطعة والبراهين البينة على كذبه وبهتانه وأفكه وزوره فحرك شفتيه ونظر نظرة جهنمية بثبات قائلا .

ـ اننى من قبل ابن الجنرال فارنر فهل لك ان تعطيني هذه الاشياء لأوصلها اليه فكم هو فى اشتياق ليرى أثرا من آثار والده المسكين وكم من الفرنكات سوف تناها منه مكافأة لك . . ! !

ـ الأولى ياسيدى أن يحضر هو بنفسه لاستلامها اما أنت فلا . .

ولم يتم جملته حتى سمع صوت طيارة تحوم حول المنزل فاسرع بنظاره إلى النافذة .

ولعل الطائر كان لوجيه مع ضابطه موريس جاءا بطريق الجو حرصا على ضياع الوقت غير عالمين أن استرلتز قد سبقهما الى نيس واثأ كدهما أن الطيارة اسرع بكثير من القطارات ثم عاد الرجل وهو يقول .

ـ اخشى أن اموت ياهذا ولم أطر بالجو

فاجابه استرلتز بلهفة شديدة كأن فرصه لاحت له

ـ اترغب فى الطيران ؟

ـ وكيف لا وقد أصبح الطيران اتم عاقبة من خطرات القطارت

ـ هيا بنا اذا فلى طيارة موضوعة على مقربة من منزلك فتتنزه ولو قليلا . . .

ـ رأى حسن وفكر صائب . ثم اسرع بارتداء ملابسه وخرجا من المنزل بعد أن اخطرا الخادمه بانهما سيعودان قريبا . وصلا الى موضع الطيارة وركب روبرت روش وهو لايدرى ماأخفاه له القدر بين طياته ولا مادبره له اوسترلتز وطارا . . . . .

ارتفعت الطيارة فكانت تمر باطلال مندثرة وتلال ممتدة . وغابات كثيفة وجهات لم يعهدها روبرت من قبل . .

علت وازدادت فى علوها فدب الرعب فى قلبه ، ودخل الشك فى نفسه . مالت بيد سائقها عمداً . وطوحت تطويحا فلعن الرجل تلك الدقيقة التى اختار فيها الطيران واشتاق أن يعود الى مسكنه الهادىء ومنزله الساكن . ولكن لم يجد من يسمع له نداء ولا مايوافقه على أغراضه فى العودة وبعد ساعة تقريباً شعر الرجل بدوار شديد وتهيج فظيع وكانت الطيارة قد قربت من المنزل الخفى . . أعنى (القبر الخفى) الذي بناه اوسترلتز على نحو مايعهده القاريء .

ثم ابتدأت الطيارة تهبط ولايدرى روش فى أى صقع هو موجود ولا فى أى جهة ولا على بعد كم كيلو من منزله . ولا الطريق الذى اتبعوه

في المسير ، وكان البرد قد أخذ منه مأخذه ـ لاسيما وانه رجل مسن ـ فتوسل الى اوسترلتز فى أن يسرع بعودته لمنزله ، فلم يجد الا اعراضا وبينما هو فى حالته يتأمل عظيم مصابه . هجم عليه الطيار بمنديل كبير لفه حول بصره حتى لايرى ولا يعى مايفعل أمامه . ثم قادوه الى (القبر الخفى) وكان مملوءاً بأعوان اوسترلتز وبعد أن اخذ له مجلساً فى وسط القاعة العمومية رفعوا عنه النقاب فنظر حوله بانزعاج شديد وصرخ قائلا

ـ مالكم أيها الرفاق تلتفون حولي . لم أأت ذنباً ولم اقترف اثما وما فعلت جرما . اتركوني اذهب لحالي . فخادمتى فى انتظارى

فصاح عليه استرلتز قائلا

ـ اذا لم تفعل ما نقوله لك فسوف لاتعود لمنزلك حيا .

ـ وما الذى تريدونه منى

ـ أريد أن تكتب ماعليه عليك .

ـ وما الذى اكتبه ياسيدى . .

فأجابه اوسترلتز بابتسامة شيطانية

ـ الامر سهل محلول . أمامك محبرة وقلم اكتب ما أمليه عليك الآن

فمسك الرجل القلم وقد أخذ الخوف منه كل مأخذ وبدأ يكتب خطاباً هذا نصه

« خادمتى الامينة ـ لاتقلقي فأنا فى راحة تامة وسط قوم كرماء »
« ابت شهامتهم الا ان امضى عندهم ليلتى هذه ليأتنسوا بوجودي »
« ويتشرفوا بحلولى بينهم . وساتيك غداً انشاء الله . وإذا سألك »
« سائل عن مكانى فقولى له بانى سافرت الى جهة لاتعلمينها وإني »
« سأرجع بالغد . وإياك اياك أن تقولى أتاه رجل وأخذه معه ولم »
« يعد فأنا لاأرضى منك عدم طاعتى وكونى كشقتى بك والسلام ؟ »

(روش)

كتب الرجل هذه السطور ليتخلص من مذلة الأسى ولينجو بنفسه من الاشرار

أخذ الشيطان الرسالة منه وقال له

ـ عليك اذا بالبقاء هنا الى الغد

فتعلق الرجل بتلابيبهم ورجاهم واستصرخ بهم ولكن لم يستمع أحد لعويل ذلك العجوز البرىء . فلنتركه الآن فى سجنه حتى ينجلى الصباح وتشرق شمس الضحى باشعتها الذهبية

الفصل الحادى عشر

(نجاة روش ـ حقيقة فارنز الشريف)

نعود بالقارىء الى موريس ولوجيه فانهما بعد أن أفلت الطاهر من يدهما أرسلا تلغرافا الي فارنز يرغمانه على الحضور الى نيس . ولو رجعنا الي الوراء قليلا لرأينا أن فارنز وشقيقته وبسكوتين وزوجته ومارى ذهبوا الى نيس فى الوقت المناسب قبل أن يصل موريس ولوجيه اللذين استأجرا طيارة ليسرعا فى العودة من مرسيليا الى نيس

وهناك تقابل الجميع بعضهم ببعض ورأى فارنز أن الاصوب أن يستأجرا منزلا للاقامة فيه فقضى معظم يومه فى البحث حتى عثر على منزل جميل يطل على أمواج البحر ذو واجهة شرقية ترمي الشمس عليها أشعتها الذهبية فتجعل له منظرا جميلا رائعا وبهجة ورونقا يلذ لعشاق الطبيعة مرآه وله حديقة متسعة الاركان فيها مالذ وطاب من أثمار وزهور وبها كشك يرتفع عن الارض بثلاثة أمتار تقريباً قد زينته أوراق الاشجار الخضراء وظللته .

استأجر فارنز ذلك المنزل فكان سلوانا لهمومه التى مازالت تتوالى

عليه يوما بعد آخر كلما تذكر أنه ابن المقطوع الرأس السارق المجرم .

وفي نهاية النهار جاءه موريس قائلا :

ـ هيا بنا ياعزيزى لوجيه لنستفهم من روبرت روش عن سر موت والدك لكى تقف همومك عند حدها .

ـ لا بأس فلنذهب اذا .

ثم قاما وركبا عربة يصحبهما لوجيه حتى وصلا الى منزل روبرت روش فقرع فارنز جرس الباب فجاءته الخادمة وفتحت الباب فقال لها

ـ أيسكن هذا المنزل روبرت روش

ـ نعم ياسيدى

ـ أنه سافر فى رحلة بسيطة وسوف يعود بالغد ـ وكان خطاب روبرت قد وصلها

ـ حسن . سنحضر له باكر

ـ هنا غرفة خالية بمفروشاتها « بانسيون » ويظهر أنك غريب فهل تود استئجارها .

ـ كلا . فلسنا فى حاجة لها الآن

ثم ودعا وانصرفا بعد أن أمرا لوجيه بالبقاء وترقب مايحصل حول الدار وقد احسنا فيما فعلا . ولو نظر خلفهما لوجدا رجلا ينظر اليهما بعين السخط والتهديد هو الدكتور لوسيوس جاء ليترقب آثارهما ، ويقف لهما بالمرصاد ولم يبعدوا نحو العشرة خطوات حتى خرج من مكمنه ونادى الخادمه وقال لها

ـ هل لك فى ارشادى عن غرفة خالية فأنا طبيب باريسى جئت لزيارة اطلال مدينة نيس وأود أن أقيم بها شهراً كاملا ـ فاجابته قائله .

ـ لا بأس فعندى غرفة تصلح لك ياسيدى

ـ وكم ايجارها ؟

ـ مائتى فرنك في الشهر فقط .

ـ هذا قدر كبير جداً

ـ وأيضا الحالة المعيشيه واشتداد الاسعار لايسمح بأقل من ذلك أنسيت أن الطبيب قد زاد اجرة زيارته . وبائع الخبز قد رفع أثمانه وأن الحاله اضطربت

ـ على كل حال سأرضى بذلك

ثم قادته الى الغرفة المذكوره وكانت في الدور العلوي فأعجب بتنسيقها ونظامها وموافقتها لأغراضه فقد كانت تطل على جميع النواحى وتحتها مباشرة غرفة العجوز روبرت روش الأسير

نرجع بعد ذلك الى روبرت روش فى سجنه فتراه لم يغمض له جفن وقضى ليلته ساهرا حتى انبثقت الشمس ودخلت اشعتها من نافذة ذلك القبر السحيق فشاهد جدرانه المظلمة المريعة وقد ظهر على واجهة منها علامات محفورة فوجدها كلام مكتوب هذا مؤداه :ـ

« كاتب هذه السطور هو المركيز لويس موريتمر المرغم على الانتحار »
« بغير جريرة ولا إثم سوى أنه ثمول كبير . وداللعين استرلتز ان يستولى »
« على املاكى وضياعى فوضعنى فى هذا الرمس الدامس والقبر الخفى »
« المريع ومنع عنى الزاد وتناول الماء ـ والآن أموت جوعا وقد »
« أوصيت بجميع ماامتلكه لصديق المحامى فارنز وشقيقته وخطيبها »
« موريس على أن يعطى العشر منها لبسكوتين ألذى نجانى من الموت »
« سابقا ؟ »

لويس مورتيمر مركيز

فدهش الرجل لقراءة هذه السطور وكاد يجن عقله وتاكد أن استرلتز أغا هو قاتل سفاك للدماء . شرير

ولم يتحول كثيراً عن أفكاره حتى فتح باب القبر وناداه السجان

بخشونة قائلا : ــ اخرج . . .

فاطاع اشارته وتمشى حتى الصالة الكبرى فألفى اوسترلتز موجودا هناك فهش هذا وابتسم قائلا له .

ــ ها . ها . أراك اليوم بصحة جيدة . لعلك استرحت الليلة في تومك

ــ وأي راحة . . ان الموت لخير منها . .

ــ دعنا . فهناك جديد .

ــ وما هو ؟ .

ــ ألا تخبر أحدا بان الجنرال فارنر مات غرقا بل يجب أن تقول لمن يسألك أنه لم يكن على ظهر الباخرة يوم سفره . وأنه تأخر عن ميعاد قيامها . ولم يكن من بين الغارقين . أفهمت ؟

ــ وهل يصح ياهذا أن أقول الكذب وأنا على حافة القبر

ــ هذه ارادتى

ــ ولكن الكذب يشين من هو مسن مثلى

ــ لعلك لاتسمع كلامى .

فال ذلك ثم صوب اليه مسدسه فارتجف الرجل حتى كاد يقع وقال .

ــ سافعل ماتقول . لاتخف . .

ثم أمر اوسترلتز أتباعه أن يهيئوا السيارة ثم وضعوا نقابا على عينى روبرت كى لايرى الطريق الذى أتى منه ووضعوه فى السيارة ومعه استرلتز وخمسة من الاتباع وأسرعوا فى السير حتى وصلوا الى الطريق العمومي ثم رفعوا النقاب عنه وكان الرجل لايدرى أفي يقظة هو أم فى منام . حتي اقتربت السيارة من داره فانزلوه منها . وأمره اوسترلتز ان يحتفظ بارشاداته وأن عليه رقيب شديد .

أفلت الرجل من بين أيديهم وقد ازدادت آلامه واشتد ضعفه

وهزاله . وكيف لا يكون ذلك وقد مرت عليه حوادث يشيب لها الطفل شيبا وينصرع لها البطل صرعا .

دخل منزله ووصل غرفته فاستقبلته خادمته وهو خائر القوى متراخى الاعصاب فسألته ماذا ألم به فلم يحر جوابا فأجلسته على مقعده فاسند ظهره الى الوراء واستسلم للنعاس ولم تمض ساعتان على وصوله حتى طرق الباب فارنر بمفرده فسأل الخادمة قائلا .

ـ هل آب سيدك من سفره .

ـ نعم . تفضل .

دخل فارنر المنزل مع الخادمة حتى وصل الى روبرت روش فسلم عليه وجلس ثم قال

ـ لعلك ياسيدي كنت وكيلا لشركة المساجيرى سنة ١٩٠٠ فاجاب الرجل . نعم . هل تتذكر ان من الراكبين رجلا اسمه الجنرال فارنر

وما كاد ينطق فارنر باسم والده حتى ارتعد العجوز وخشى عاقبة الكذب كما خشى أن يكون هناك رقيباً يحاسبه على عدم طاعته ـ والحقيقة ان الدكتور لوسيوس كان فى تلك اللحظة واضع أذنيه على أرض الغرفة العلوية ليسترق الحديث .

فاجابه قائلا .

ـ ان الجنرال فارنر لم يتمكن من اللحاق بالباخرة قبل اقلاعها وذلك من حسن حظه حيث انها غرقت فى الطريق ولو كان بين ركابها لمات غرقا

وما كاد يسمع فارنر هذا القرار حتى تصلبت اعضاؤه وتماسكت أعصابه . وعجز لسانه عن النطق . ورآه روبرت على هذا الحال فعز عليه ان يرى مثل هذا الشاب النبيل واقع تحت تأثير اكذوبته فهم بان يفصح عن جلية الأمر ولكن تذكار سجنه عقد لسانه عن النطق

واوقفه عن الافصاح .

ولما أفاق فارنر لنفسه استأذن فى الخروج فخرج . وبينما هو على الباب أتاه لوجيه الذى كان يراقب المنزل وأخبره بان هناك رجل شرس الطباع يسكن الغرفة العليا من صباح اليوم فقط .

فأمره فارنر بشدة المراقبة عليه . ثم مضى الى منزله حزين القلب مهزوما . أما روش العجوز فان ضميره لم يرتاح لفعلته فداخله الندم ولعن يوما تمنى فيه الطيران فى الجو فسقط من على كرسيه مغشيا عليه

فشاهدت خادمته سقوطه فأسرعت الى الدكتور الذي سكن حديثا بالمنزل وقالت له .

ـ أرجوك أن تعود سيدى فهوفى حالة سيئة جدا فابتسم الدكتور لحظة ثم هرول معها الي غرفة روبرت فجس نبضه ووضع ساعته على قلبه وقال لها

ـ اطمئنى فسوف ينتعش حالا واذهبى الى أقرب صيدلة واصرفى منها هذا الدواء ثم ناولها تذكرة كتبها بيده فاخذتها وخرجت .

ولما خلا الجو للوسيوس . اخرج من ردائه زجاجة لمخدر قوى وصوبها نحو أنف العجوز فغرق فى نومه . وعمد لوسيوس الى مكتبه فأخرج الساعة والوثيقة وهم بالخروج من الباب لولا أن لوجيه الذى كان يترقب اعماله هجم عليه هجمة قوية القته على الارض لايعي مايقول ثم أخذ الساعة والوثيقة واسرع الى سيده فارنر وعرض أمامه كنزه الثمين الذى حصل عليه ثم فتح الوثيقة فوجد بها مايأتى : ـ

« بينما كنت سائراً فى طريق نحو الباخرة نياجرا اعترضنى لص »
« حديث السن نشل نقودي وتذكرة سفرى الى مراكش فاضطررت »
« لمد يدى لى وكيل شركة المساجيرى (روبرت روش) الذى نقدني »
« الثمن فرنك واستخرج لى تذكرة أخرى . وقد أبيت الا أن أعطيه »

« ساعتي الذهبية رهنا عنده حتى اعود من مهمتي . وقد حررت هذا »
« اعترافا مني بما حصل ؟ الامضاء — (الجنرال . م . فارنر) »

وكان فارنر يقرأ هذه الاعترافات والسرور قد أخذ بمجامع قلبه والفرح يخالج ضميره وآيات النصر بادية على وجهه : فمال على وجه لوجيه لثما وتقبيلا . . وكيف لا يقبله وهو السبب في ازالة همومه واحزانه وتقرير حقيقة أصله الشريف ومنبته العريق — فلا عجب اذا رأيت استاذ فرنسا القدير يميل على النشال لوجيه الحقير ، ويصافحه بيد الصداقة والمودة وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون .

وما انتهى لوجيه من حديثه حتى اسرع فارنر وبسكوتين الى منزل روبرت روش ليروا ماتم بعد سقوط لوسيوس وليسعوا في القبض عليه وتسليمه ليد القضاء حتى ينال جزاء اعماله فطرقوا الباب وقابلتهم الخادمة فقالت لهم .

— نحن قوم جئنا لزيارة سيدك

— سيدي مريض وهو غارق في نومه ولا يمكنه مقابلة احد

فاجابها بسكوتين قائلا

— انا طبيب ماهر فاوصليني إلى العليل عله يشفى على يدي فاقتنعت الخادمة بكلام بسكوتين وقادتهم الى غرفة العجوز وكان جالسا على مقعده تحت تأثير المخدر الذي استنشقه بيد لوسيوس . ولو كانت الخادمة رأت لوسيوس ملقيا على أرض الغرفه بتأثير ضربة لوجيه لما كانت صرحت لبسكوتين وفارنر بالدخول . فنظر فارنر في نواحي الغرفة حتى وقع بصره على لوسيوس مفرطح اليدين خائر القوى فعمد اليه واقعد وكان في ذلك الوقت قد بدأ العجوز روبرت روش يفتح عينيه ويحرك جسمه ولما افاق نظر حوله فاندهش لرؤية فارنر وصديقه وتذكر نتيجة اكذوبته . فاسرع نحو لوسيوس ومد اليه زجاجة المخدر التي

استعملها له وسددها نحو أنفه قائلا

ـ استنشق أيها الجبان ذلك الدواء الذى استعملته لى ففيه شفاء لسقامك ومريح لآلامك فضحك فارنر وسأله .

ـ ما الخبر . ؟ فأجاب

ـ أماتني هذا النذل ساعة زمنيه وإنا يابني أصارحك القول وأصدقك الأمر . فوالدك جنرال فارنر مات غريقا ولعلك قد وقفت على الحقيقه .

ـ نعم علمتها من ساعته الذهبيه التى كاد يسرقها لوسيوس ذلك اللئيم ـ وأشار عليه ـ

ـ هل أخذتها حقا ؟

ـ وها هى فى سترتى وسوف أكافئك على حفظها . ثم وضع يده فى محفظته وأخرج خمسة آلاف فرنك وأعطاها له قائلا .

ـ خذ هذه لك . وان احتجت لأكثر منها فعليك بالحضور الى ولا تخش لومة لائم

ـ شكراً لك . فانت طيب القلب من أصل شريف ورأى بسكوتين الا يترك أسيره لوسيوس فأشار الى فارنر بأخذه الي منزله وتسليمه فى الغد الى رجال البوليس . فاستحسن رأيه . وطلبا من روبرت أن يسمح لهما بأخذه فلم يرفض وأسرعت الخادمه فاحضرت حقائبه وأوراقه التى كانت معه فى الغرفه . وأعطتها لهم . وركبوا الى المنزل بصحبتهم السلامه .

وبينما كانوا فى طريقهم أخذت الشمس فى المغيب وأسدل الليل ستاره وكانت كاترين مع خطيبها موريس يروحان النفس من عناء المشاغبات فى حديقة المنزل ويتناجيان الغرام ويتشاكيان لوعة الحب والهيام حتى وصلا الى الكشك العالى الذى يطل على البحر فاختارا . أن يجلسا فيه برهة وياله اختيار يدل على ذوق سليم وعاطفة حساسة .

عشق وغرام . امام بحر زاخر . أمواجه تتلاطم ونسيمه يهب على الاشجار فيطوحها كيف شاء حقا أنه منظر ينعش النفوس الحزينه والقلوب المكلومه . . . وسط هذا الهدوء والسكينه مكث الخطيبان وقد تعددت قبلاتهما واشتدت حرارتهما وازداد تعانقهما . . . كل ذلك وملاك الحب يطل اليهما مبتسما . . ولكن ابتسامته كانت غامضه يتخللها شيء من الفتور والحزن . . . ! ! !

وفي ذلك الحين كان استرلتز واتباعه يراقبون المنزل عن كثب ويهيئوا حيلة للسطو على كاترين وخطيبها والحقيقة أن الفرصه سانحه وبينما هم فى تدبيرهم رأوا لوسيوس وبسكوتين نحو المنزل . فاشتد غيظهم وزاد حنقهم وقويت عزيمتهم على أخذ كاترين على حد المثل العامى القائل (دقه بدقه) فانتظروا حتى أدخلوه الدار وتسلقوا سور الحديقة حتى وصلوا إلى مجلس موريس فسدوا فاه وهجموا على كاترين التى عقد لسانها عن النطق وحملوها وولوا هاربين بغنيمتهم . وتصادف أن شعر بسكوتين بحركة غير عاديه فى الحديقه فاب اليها وبيده غدارته خوفاً من الطوارىء فرأي موريس مطروحا على الارض مغلول اليدين والساقين فاسرع بفك قيوده وحمله لأسعافه ثم خرج مع فارنر يبحثان عن كاترين فلم يقفا لها على أثر . وكان الاشقياء قد أخذوها الى حصنهم المنيع « القبر الخفى »

الفصل الثاني عشر

(شقيقة فارنر ـ المركيز المزعوم)

وضع المجرمون الآنسة كاترين في القبر الذي دفن فيه لويس مورتيمر وهو بعينه الذي أسر فيه روبرت روش العجوز وتركت لتمضي ليلتها بين حوائطه الهائلة المرعبة .

وفي الصباح بزغت الشمس من الشباك الحديدي في الطريق فأدارت كاترين وجهها لتعرف مشتملات الغرفة فشاهدت وميض مورتيمر فبكت لفقده وأنت لموته ولكن هل ينفع العويل بعد ضياع الفريسة . ؟ بمثل ذلك .

وفي منتصف الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم أتى اوستر لتز اليها محوطا برجاله فانزعجت الفتاة لرؤياه وصرخت في وجهه قائلة .

ـ أما يكفيك ماسببته لي من الشقاء ؟

فأجابها . هيهات . هيهات ان يكون ذلك اذ لابد من هلاك كلتيكما لاسيما وقد وقفتم على خبايای .

ـ لاأفهم ماتقول . افصح .

ـ أقول أنك لاتخرجين من هنا ماشية على قدميك بل تكتبي ماأمليه عليك .

وهكذا كان اوستر لتز يتغلب على أعدائه بالوعيد والتهديد والأمر واظهار الشدة

فارتعدت لقوله وقالت

ـ وما الذي تريد ان اكتبه

فأمر احد اتباعه باحضار معدات الكتابة فامسكت القلم وكتبت هذه السطور

« الى أخي فارنر .

« أنا بصحة جيده وسط قوم يكرمون الضيف وان كنت تود »
« أن أعود اليك سالمه فاخلى سبيل لوسيوس واحضر به على كوبرى »
« السكه الحديديه فى الساعه الواحده بعد ظهر اليوم فسوف تجدنى »
« موجودة بمركبة القوم فأذا سمعت صوت صفير فى الهواء . فاطلق »
« الاسير . فأكون فى الوقت نفسه قد تركتهم أنا أيضا وأياك أن »
« تهاون فحياتى معلقة بين ارادتك ورفضك . فاختر ماتشاء ؟ »

(شقيقتك ـ كاترين)

كتبت هذه السطور وقد امتلأ قلبها بالأمل واعتقدت بأن شقيقها سيعجل بالافراج عن لوسيوس لشغفه بها وحنوه عليها ومكثت تنتظر الساعه التى يأتوا فيها لأخذها وتسليمها إلى أخيها

وكان استر لتز قد أرسل الخطاب الي فارنر فاطلع عليه وعجل بتنفيذ طلب أخته وعمل بقولها ففى الساعه الواحده بعد ظهر ذلك اليوم كنت تجد سيارتين على بعد مائة متر تقريباً احداهما لفارنر وموريس بصحبتهما الاسير والثانيه لاعدائه .

وبعد برهة وجيزه علا صوت صفير فعلم فارنر أن الوقت قد حان للأفراج عن الأسير لاستلام شقيقته فتركه يمشى نحوهم وفي الوقت نفسه كانت هناك فتاة مرتدية بملابس كاترين مقنعة الوجه آتية لديهما .

ففرح فارنر لاعتقاده أنها أخته وما لبث أن انقلب ذلك الفرح إلى غم شديد . ذلك لأن الفتاة لم تكن كاترين بل صبية بلهاء خرساء أتى بها المجرمون ليموهوا بها على فارنر فخاب ظنه وطاش سهمه .

* * *

فى مساء اليوم المذكور ظهر فى جرائد فرنسا ان المركيز لويس مورتيمر الامريكى سيتحول بيخته (الياصبات) فى مياه السين ويطوف بمدينة

نيس . فاندهش فارنر لقراءة مثل هذا الخبر بالجرائد بعد أن مضت مدة طويلة نحو الاربع سنوات تقريبا دون أن يسمع عنه فى خلالها خبر . فعزم على الا تفوته فرصة مشاهدة المركيز والتآنس به . وفي الميعاد المحدد لمرور اليخت بمدينة نيس أمر فارنر لوجيه بان يذهب إلى اليخت ويستأذن المركيز فى الانتظار حتى يحضر اليه ويسلم عليه فلم تمض برهة حتي كان لوجيه يتمشى على رصيف الميناء الشرقى وقد استلفت نظره أمر غريب . ذلك أن استرلتز ولوسيوس كانا بجانب اليخت يصافحان المركيز الموهوم فخشى أن يقترب منهم فيقع فى شركهم فانتظر ريثما مضوا فى طريقهم وتمشى نحو اليخت ولكن كانت قد اقلعت من مرساها فعزم على ان يكشف سر مقابلة استرلتز للمركيز فقذف بنفسه فى اليم وصعد من الجهة الخلفية للسفينة الى قارب معلق من قوارب النجاة فتكمش فيه حتى لايشعر به أحد . الا أن القدر لم يشأ الا أن يفتضح أمره اذ بعد دقائق معدودة اشعل سيجارا فتصاعد دخانها فى الجو . وكان لسوء الحظ المركيز الموهوم يتمشى على ظهر اليخت فتأكد أن هناك سرا لذلك فأمر النوتية بان يقذفوا بالقارب الى البحر وهكذا وقع لوجيه يتخبط بين امواج البحر الزاخر . فتارة يعلو وأخرى ينخفض . فندعه فى تقلباته ونعود إلى فارنر وموريس فانهما لما حضرا الى الميناء ولم يشاهدا اليخت او لوجيه بانتظارهما تأكدا بان المسكين وقع فى فخ الاعداء . فاسرع موريس نحو طيارة مائية كانت راسية واستاجرها وقال لسائقها

ـ يلذ لى أن تطير في الجو يقصد الرياضة ولك مكافاة حسنة فاجابه قائلا

ـ تفضل على الرحب والسعة

ثم ودع فارنر وأمره بالاحتفاظ والسهر على بقية افراد جمعيتهم وتحركت الطيارة حول البناء فشاهدا فى البحر جسم يتحرك أو غريق

يطلب النجدة . فأبت الشهامة والنخوة الا أن يسعفه موريس بالخلاص. فأمر السائق بالهبوط فهبط وساعد الغريق على النجاه فما نظر لوجهه حتى علم أنه لوجيه خادمه الأمين فاركبه معه وسأله عما حصل فاجابه بالواقع وعزما على متابعة اليخت بطريق الجو فطاروا جميعا وأسرع الطيار بالمسير محلقا فوق اليخت على ارتفاع عظيم حتى شاهدوه قد رسى على الشاطىء ونزل منه نحو الخمسة رجال كلهم ساروا نحو الجهة القبلية من نيس الى القبر الخفى . فشاهد موريس مكان اللصوص . وهكذا تمكن من معرفة مخبأهم فعاد وقد انشرح صدره لهذه النتيجة وأنبأ فارنر بما توصل اليه .

الفصل الثالث عشر

(كيف حال كاترين ؟)

مذ دخلت كاترين السجن اعنى القبر الخفى هام بجمالها حارسه وصبا قلبه اليها فكان يهجم عليها المرة بعد الأخرى محاولا لثمها فلا يجد منها الا اعراضا . ومصادمة قوية . وفى صبيحة اليوم الثانى لسجنها أتاها ذلك الشقى وهددها بقوله .

ـ سوف تموتين بامر اوسترلتز ولا ينجيك من يده إلا إخلاصك لى فما رأيك . فاجابته .

ـ انى مخلصة لك أيما إخلاص . فاسع في فرارى ولك جائزة حسنة

ـ وما هي تلك الجائزة التى تعدينى بها

ـ هى جائزة مالية لاتقل عن خمسة آلاف فرنك

ـ ها ها ها . ماأحسن جائزتك وما ألطفها لارغبة لى فى المال أيتها العذراء الجميلة وكل ماأريده أن اقترن بك

فحدقت بصرها فيه وحملقت اليه . وصرخت فى وجهه قائلة

ـ أمثلى يقترن بك . انى لأفضل الموت علي أن يعاشرنى نذل جبان مثلك . وانى لأسعى للحمام على أن أكون بجوارك . عشرة تعسة وحياة مرة لأرضاها لنفسى مهما كانت قيمتك أفهمت .

ولم يكد صاحبنا ينبث ببنت شفة حتى دخل لوسيوس الى الجب وقال للسجان .

ـ اسرع باحضار السجينة لدى الزعيم

فاجابه بالسمع والطاعة ثم مال عليها فجذبها بقوة ودفعها إلى الخارج حتى مثلت بين يدى الزعيم الذى قال لها

ـ ان شقيقك قد اكتشف أمرنا وكاد يذهب لدار القضاء كى يأخذ بحقه منا لولا أن أحد اتباعى نصحه بعدم التسرع حتى تنجين من بين يدى فكف عن الذهاب ولما كنت الآن أسيرتى وعليك تتوقف حياتى وحياة جميع أفراد عصابتى . فخاطبى أخاك بالتلفون وقولى له لاتفضح أمر اوسترلتز للقضاء واعلم بانى سأعيش بين زمرته سالمة طالما سكت وتأكد بان كل اشارة ترشد بها البوليس ستذهب بحياتى

وفى الوقت الذى كان فيه اوسترلتز يأمر الفتاة بمخاطبة شقيقها كانت طيارة موريس ولوجيه تحلق فى الجو وتدرس الطرقات بقصد النزهة . فعجب اوسترلتز لسماع دوى الطيارة وخرج برأسه من النافذة ليكتشف راكبيها وما خلت الغرفة بكائرين حتى عمدت الى آلة التلفون وكانت بالقرب منها وكلمت أخاها قائلة .

ـ فارنر . أنا فى يد أوسترلتز . . احضر لنجدتى . هو فى نافذة الغرفة المقابلة يسمع دوى طيارة محلقة بالجو . اسعفني . انجدنى . . ابحث عنى فى ضواحى نيس .

ولم تكد تبوح بما فى صدرها حتى هجم عليها اوسترلتز فالقاها قابضة على سماعة التلفون فسألها

ـ من تكلمين ؟ ـ فأجابته بشجاعة

ـ أكلم أخي فارنز الذى سيحضر للقبض عليك وجمعيتك

ـ آه . لقد ساء فألى . ووقعت فى شرك أعمالى اذهبوا بها إلى السجن فقد قضت بقتلها .

فأخذوها أخذ عزيز مقتدر الى القبر الخفى وأدخلت فيه تنتظر حمامها .

أما اوستر لتزفانه فى مساء ذلك اليوم جمع جمعيته وأمرهم بالاستعداد للهرب . وبأن يحرق القصر فى فجر ذلك اليوم . فيلتهم المسكينة كاترين . . . . . !!

وهكذا فكروا فى الخلاص من يد فارنز القوية وماعلم السجان بذلك حتى عمد الي كاترين وأنبأها بعزم استرلتز علها تحن اليه . وتشفق عليه فتهبه قلبها . لاسيما وانه قد صدر الحكم باعدامها حرقا . وينبهها بأن الفرصة لاتزال سانحة وحياتها بين يديه .

فأثر في كاترين ان تموت وهى فى عنفوان شبابها فعمدت الى إظهار اخلاصها للسجان ـ فصدق الأبله كلامها ووعدها بان تستعد للفرار فى منتصف الليل

وفى الساعة المحددة جاء لخلاصها السجان وبيده مصباح ضئيل الا أن المحن لم تكن قد انتهت بعد اذ ظهر خلفه لوسيوس على منفذ السجن فى ذلك الوقت وهو على وشك الخلاص فأوقفهما وأمر الحارس بان يغرب عن وجهه . فتواري بين الجدران يسمع ويري . . فشاهده لوسيوس يمد يده للفتاة قائلا

ـ كيف حالك يا أنسه

ـ بخير . ماذا تروم

ـ أود أن تشاطريني الحياه فتصبحين زوجتى .

— لله كم انتم اغبياء . أفى موقف الموت تظهرون الغرام . وفى مجال الحمام تتشاكون الهيام . اليس هذا دليل على خلوكم من عواطف الشفقة والحنان فكيف يكون لكاترين ان تعاشر سفاكا للدماء مثلك أم كيف يتسنى لها أن تختلط باثيم حقير . ليس له قلب ولا دين . اذهب من حيث اتيت . فلا الموت يهمنى ولا الحمام يرهبنى غير لى ان أموت شهيدة اخلاصى لعشيرتى على أن اكون خليلة لك ياجبان

فاهت بهذه الالفاظ فاثرت فى لوسيوس تاثيرا سيئا استشاط غيظه وأثار غضبه . كما اثر فى السجان فلان قلبه وشاهد لوسيوس يهجم على الفتاة بقوته فما كان منه الا ان مسك بعنقه من الخلف وضغط عليه بشدة حتى خنقه والقاه على الارض لاحراك به . ثم أخذ بيد الفتاة وقادها الى السلم . قائلا .

— أن جميع الابواب موصدة الآن وليس لنا الا الهرب من أعلا الدار اذ فى مستويه قمة التل فنضع قطعة مستطيله من الخشب حتى يتيسر لنا المرور عليها والعبور اليه فخفى وطأ قدميك واسرعى .

ثم صعد فى منحنيات المنزل حتى وصلا الى السطح وكان في مستوى الجبل وقريب منه . فوضعا لوحا من الخشب المستطيل بين السطح والجبل وأمر الفتاة بالعبور فكانت كأنها راقصه تمشى على أناملها حتى وصلت الى الجبل ولما رأت أنها نجت من الاشرار عمدت الى اللوح فاسقطته إلى الارض فلم يستطع السجان المرور فاغتاظ لذلك ولم ير أأمن عليه من العودة لمقره . فولى وجهه شطر السجن وهناك لم يجد لوسيوس فى مكانه فعلم أنه لم يكن قد مات وخشى أن يقابل استرلتز . فعمد إلى مخزن البارود وأشعل الفتيل . ثم صعد لسيده لوسيوس وقال له .

— سوف نموت جميعا . فارتاع وقال .

— كيف ذلك أيها الشقى ؟ . لم أطلقت سراح الأسيرة . ؟

ـ قلت لك سنموت جميعا . فصاح قائلا

ـ خبرنى . هل هجم علينا البوليس . ؟

ـ كلا بل هجم علينا عزرائيل .

ـ أفصح فأنا لا أفهم حديثك ؟

ـ أن مخزن البارود يشتعل وأنا الذى أشعلة بنفسى لكى نقف وإياكم عند حدنا ولا نتمادى في طغياننا .

وما كاد يتم جملته حتى سمع صوت انفجار فظيع اهتز له الجبل وتساقطت جدران القصر والسنة النيران تندلع ولهيبها استعر .....

فالى جهنم وبئس المصير ياأسترلتز وشركاه .

الخاتمة

(الهدوء والطمأنينة والسعادة)

لو عدنا الى فارنر وموريس وتوابعهم لوجدناهم على أثر اكتشاف موريس للمنزل الخفي ومحادثة كاترين لأخيها في التلفون آتين في طريقهم نحو (نيس) لنجدة كاترين وبينما هم في وسط الهضبة شاهدوا النار تلتهم المنزل فايقنوا أن كاترين هلكت لامحالة فانهمرت دموعهم وكاد يغشى على فارنر وخطيبها الا انهم لم يرفوا بالرجوع الا بجثتها فوجهوا وجوههم شطر المنزل المحترق . . .

وفي الطريق شاهدوا فتاة ملقاة على الارض حركوها فوجدوها كاترين مغشيا عليها من شدة التعب . فأخذوها فرحين مسرورين لنجاتها بعد أن علموا منها قصة المركيز مورتيمر وأنه أوصى بماله لها ولشقيقها وبسكوتين .

بعد أن خمدت النيران ظلوا يبحثون عن الحجر الذى كان المركيز قد كتب عليه وصيته حتى عثروا عليه ولم يصب من النيران بضرر وعاد الجميع الى منزلهم فرحين . . .

. . . . . .

وكانت الفتاة مارى مونبليه قد شفيت من خبالها ومن الله عليها بالعافية .

. . . . . .

ولو مررت بعد اسبوع من هذه الحوادث على منزل فارنر . . . لالفيت كاترين مع — زوجها — موريس يتنزهان فى الحديقة . .

وفاز فى جلسته يتسامر مع الفتاة مادلين . . .

وبسكوتين يقبل زوجته فى مطبخ البيت . . .

والكل فى سعادة وهناءه قد من الله عليهم بهما بعد طول النضال مع ذلك الشيطان الداهية . . .

فألى الجحيم . . الى الجحيم ياأوسترلتز الملعون

(تمت بحمد الله وشكره)

اطلبوا رواية

غرام التيتى

قريبا

ستظهر رواية

اتون العذراء
الفاتنة الحسناء

و

بين طيبة ومنفيس

رواية تاريخية مصرية غرامية ذات حوادث رائعة

تأليف الاستاذ

عيسى محمد السباعى

اطلبوا رواية

إلحاج عمر ؟!

محمد عيسى

obeikandl.com